شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد الثالث المجلد التاسع والخمسون ذوالقعدة ١٤٣٤هـ سبتمبر ٢٠١٣م

- بعثة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام
- المجتمع المسلم بين صورة وصورة !
- حكمة التكرار في القرآن الكريم
- تصحيح مفهوم الدين لله والوطن
- أسماء مكة والمدينة في اللسان العربي
- التجارة في الإسلام

تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ. الهند
Albaas-el Islami,Majlis Sahafat-wa-Nashriyat,
P.O.Box 93, Lucknow- 226007 (U.P. (India)
Fax : 0091-522-2741221,2741231, E-mail:nadwa@sancharnet.in

Fax :91-522-2741221, 2741231 Regd. No. LW-NP/642012 To 2014 R. N. I. No. (U.P.ARA/2000/2341)

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol: 59 Issue:02 August 2013

إصدارات حديثة:

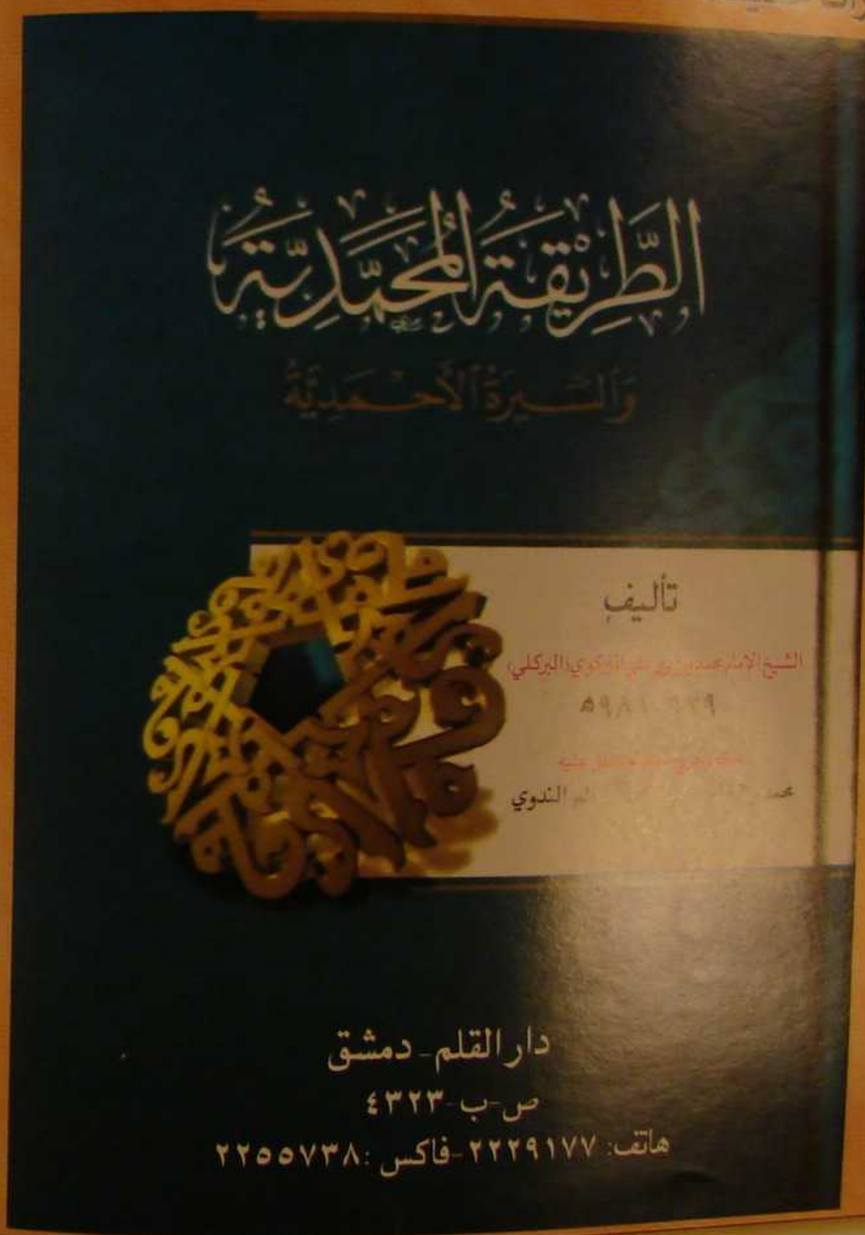

DESIGNED BY: HAMID, Mob: 9889654027.Lko

Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
(Dept.of Journalism & Publicity) at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.
Editor : SAEED-AL-AZAMI-AL-NADWI

بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

المجلد ٥٩

العدد الثالث – المجلد التاسع والخمسون – ذوالقعدة ١٤٣٤هـ سبتمبر ٢٠١٣م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشاها:

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام: ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:

محمد فرمان الندوي

محمد عبد الله الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ – ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg,
Lucknow. Pin:226007-04 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231
Mob: 9889336348 E-mail:nadwa@sancharnet.in

العبقري العصامي!

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده، وما ينفع عملياً، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة، وفي عصر الثورة على الدين، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين، ومن النتائج الخاطئة، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون.

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية فيأخذ منه ما فاته من التجارب، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع.

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية في الهند

ثلاث مائة	٣٠٠/٠٠روبية
ثمن النسخة:	٣٠/٠٠روبية

في العالم العربي

وفي جميع دول العالم:

٥٠ دولاراً بالبريد الجوي

أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

المجلة غير ملتزمة

بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك:

باسم "البعث الإسلامي"

A/C 10863759846

(SBI LKO.MAIN BRANCH)

وذلك بالعنوان التالي:

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT
NADWATUL ULAMA P.O. BOX. 93,
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)

محتويات العدد

العدد الثالث – المجلد التاسع والخمسون – ذوالقعدة ١٤٣٤هـ سبتمبر ٢٠١٣م

الافتتاحية :

المجتمع المسلم بين صورة وصورة ! — سعيد الأعظمي الندوي — ٣

التوجيه الإسلامي :

بعثة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام — سماحة الشيخ العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي — ٨

حكمة التكرار في القرآن الكريم — الإمام الداعية بديع الزمان سعيد النورسي — ترجمة : الدكتور إحسان قاسم الصالحي — ١٨

عالم الجن وما إليه — الدكتور محمد بن سعد الشويعر — ٢٦

الدعوة الإسلامية :

تصحيح مفهوم الدين لله والوطن .. — معالي الدكتور الشيخ راشد عبد الله أحمد الفرحان — ٣١

الإسلام في اليابان : التاريخ والانتشار — الدكتور صالح مهدي السامرائي — ٣٣

جناح اللؤلؤ — الدكتور عبد الحكيم الأنيس — ٤٣

الفقه الإسلامي :

التجارة في الإسلام — الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد — ٤٦

دراسات وأبحاث :

أسماء مكة والمدينة في اللسان العربي — الأستاذ الدكتور محمد السيد علي بلاسي — ٥٧

الدراية أو نقد المتن عند المحدثين — الأستاذ محمد شاهجهان الندوي — ٦٦

التاريخ الكبير للإمام البخاري — الدكتور محمد بي – بي — ٧٦

عبد الوهاب البياتي من رواد الشعر العربي الحديث — الدكتورمحمد مظهر عالم الندوي — ٨٥

من كنوز القرآن الكريم :

تفسير القرآن الكريم للعلامة السيد سليمان الندوي — محمد فرمان الندوي — ٩٣

إصدارات جديدة :

دور الدولة السعودية ، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ... — قلم التحرير — ٩٨

البرهان في نظام القرآن ، في سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران — " " " — ٩٨

سيرة النبي الأمين ، في ضوء الأسئلة والأجوبة — " " " — ٩٩

إلى رحمة الله تعالى :

الحاج حسن ، أحد المسئولين عن جماعة التبليغ في ذمة الله تعالى — قلم التحرير — ١٠٠

الافتتاحية :

بسم الله الرحمن الرحيم

المجتمع المسلم بين صورة وصورة !

مجتمعات المسلمين اليوم تتوزع بين صنفين من وجودها في العالم البشري .

الصنف الأول هو ما يرزح تحت نير الظلم والاستبداد ويعيش تحت مطرقة العلمانية والقمع والاستعباد ، والجرائم الوحشية التي يخجل منها الضواري من السباع ، وقد يكون هذا الصنف له علاقة صادقة بالدين ، ويصور كل ما يصدر من قِبله من ممارسات عملية أنه من الدين ومن مقتضياته ، فطالما يتفق ذلك مع مطالب الدين ، وقد يشوبه نوع من التسرع ضد البيئة الحاكمة أو شيئ من التطرف في طريق الإصلاح وذلك ما يمهد الطريق نحو المعاناة أو الاتهام بإثارة الجماهير خلاف الفئة المسئولة عن سياسة البلاد .

وقد توجد جماعة ممن يمثلون الإسلام في الحياة والمجتمع ، ويوجهون الدعوة إلى الناس بالتمسك بشريعة الله تعالى ، ويكونون على جانب كبير من الإخلاص ، لتحكيم الشريعة في المجتمع المسلم ، وهم الدعاة المسلمون وعلماء الدين الذين لهم تأثير في المجتمع المسلم الجماهيري ، الذي يعتبرهم نماذج للحياة الإسلامية الخالصة ويتوخى أن يسير سيرهم ويقلدهم في أسلوب الحياة في كل مجال من مجالاتها ، ولكن أعضاء هذه الجماعة يعيشون تحت رقابة شديدة ممن يعادونهم ويرونهم عائقاً في سبيل مشاريعهم الهدامة ونواياهم السيئة في سد الطريق نحو الحياة التي يصنعها الإسلام وتعاليمه المشرقة ، ولذلك فإنهم مستهدفون من جميع النواحي ، يترصدهم الأشقياء من المجتمع المسلم نفسه ، لكي يتراجعوا إلى الوراء ولا يتطلعوا أبداً إلى سلطة من الحكم ولو كان ذلك من طريق الانتخابات وباسم الجمهورية .

هكذا شأن المسلم الذي يريد أن يعيش في وطنه تحت ظلال دينه مع تطبيق الشريعة الإسلامية على الحياة والمجتمع ، حتى يعود الأمن والسلام

إلى العالم البشري ويغشى المجتمعات الإنسانية كلها جو من طبيعة الإيمان والعقيدة ، وينتهي من العالم الظلم والجور والفساد ، ويسوده العدل والمساواة والمواساة ويعم النصح والخير للبشرية جمعاء ، ولكن عوامل الهدم والخراب ، وعناصر الظلم والإرهاب لا تدع الطبيعة الإنسانية السليمة أن تدرك طريقها نحو الصلاح والحب والعدالة الاجتماعية ، وتستغل الكفاءات التي تتمتع بها فيما يبنى صرح الإنسانية عالياً يلجأ إليه الناس من شمس الحضارات المادية ، والأساليب الاصطناعية التي يعيشها العالم المادي ويتوخى أن يفرضها على ممتلي الحضارة الإسلامية وصانعي التاريخ الأمثل للإنسان .

في مثل هذا الجو المكهرب بتيارات العداوة والحقد والشنآن يعيش المجتمع اليوم ، مثلما كان قبل انبثاق فجر الإسلام الذي استقبله الناس بعد نحو ستة قرون عاشوها في الظلم والظلام والبغض والعدوان ، تلك الفترة الهائلة التي كوّن فيها المجتمع البشري صورة من حملة لواء الكفر والوثنية ، والتقاليد الجاهلية ، الذين كانوا لا يسمحون بدين أو نبي يحول دون تلك الجاهلية التي ألفوها وعاشوها فترة طويلة من الزمن ، فضيّقوا المجال لأهل الدين وبذلوا كل الإمكانيات والوسائل للصد عن سبيل الحق والعدل ، ورفضوا بشدة كل شيء جديد يعرض في طريقهم القديم ، وهنالك جاءهم النذير من عند الله تعالى وتلا عليهم آيات الإيمان والتقوى والصلاح : ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ❖ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وفي جانب آخر يوجه البشرى إلى جماعة المؤمنين ممن آمنوا وعملوا الصالحات : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

هذه صورة المسلمين الأقوياء في إيمانهم ، والراسخين في عقيدتهم ، لا يزعزعهم عواصف الكفر والإلحاد عن السير على المحجة البيضاء والالتزام بالجادة المستقيمة التي وصفها الله بصراطه المستقيم ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾ إنهم يواجهون كل عائق في هذا السبيل بقوة وصبر ويتحملون كل مشقة بوجوه باسمة ، لا يداخلهم اليأس ولا يثبط همهم

تهديدات ولا تخويفات بل تزيدهم صموداً وثباتاً على الحق ، وثقة بالنصر المؤزر من الله سبحانه ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ وبالمناسبة نستملي صورة لابني آدم عليه السلام ، قابيل وهابيل إذ قربا قرباناً فتقبل الله سبحانه وتعالى قربان هابيل ورفض أن يقبل ما قربه قابيل ، الأمر الذي أشعل نار الغيظ والحسد في قلبه ضد شقيقه هابيل فهدده بالقتل ، ولكنه واجه هذا التهديد بجنة من التقوى والصبر ، وقال : ﴿لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ❖ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة المائدة الآيتان/٢٨ – ٢٩) أليست جماعة المسلمين ممن جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح من قبيل هابيل ، والذين يصرون على الظلم والقتل ومحو آثار الدين من أرض الله تعالى إنما هم من أولاد قابيل الذي أحاطت به الندامة والعجز والغباء ، فلم يغن عنه ما أقدم عليه من جريمة بل وكانت عاقبته الخزي والعار والخسران ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ وَذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ .

ما أشبه صورة المسلمين اليوم بصفة عامة بالعجز عن العمل الجاد وخسارة السلوكيات العالية والسقوط إلى أسفل درك من الأدواء الخلقية ، وتناسي صلات الرحمة والأخوة وإيثار المنافع المادية الذاتية ، وخدمة المصالح الشخصية على التراحم والتناصح والتعاطف فيما بين الإخوة وذوي القربى الإسلامية ، وقد بلغوا في آخر المطاف إلى رفض أي مسالمة مع الدين الإسلامي الخالد الذي إذا رفضه أي مسلم – وإن كان معتوها – يعتبر خارجاً عن مجتمع الإسلام وحتى لا يستحق أن يدرج اسمه في إحصائيات المسلمين .

طالعتنا الأنباء الالكترونية اليوم : ١٣/٠٦/٢٩م حول ما يقوله زعماء المظاهرات ضد الحكومة المصرية التي سيقومون بها يوم ٣٠/من شهر يونيو ٢٠١٣م (غداً) وذلك باختصار : "بعد ١٣/٠٦/٣٠ لن نسمح أن يحكمنا نظام إسلامي" هذا ما يقوله شفيق ويضم صوته بصوته البرادعي : "لن يرهبنا الحديث عن الأخلاق" وهذا نبيل يشن حرباً على شريعة الله تعالى فيقول: "سنسقط الشرعية ، ولن نحكمنا الشريعة" ويهذي جورج إسحاق : "٠٦/٣٠

هو يوم انتهاء الإسلام" ويعلن عكاشة : "يوم ٠٦/٣٠ لن يكون هناك ملتح ولا محجبة" وهذه فاطمة ناعوت ، تستهزئ بكتاب الله تعالى فتهذر : "القرآن فيه تناقضات" وهذا أبو حامد : قد صرعته صرعة فيهذي : "القرآن به ألفاظ تجرح مشاعر الآخرين" وعمر حمزاوي يبلغ به الهذيان إلى أن يقول : نكافح لرفض هوية مصر إسلامية ، وهناك ادعاءات سخيفة ضد الإسلام ، وليس ما ذكرناه إلا غيضاً من فيض من العقليات المريضة المشبوهة التي لا يسعنا تجاه هذه العقلية المريضة إلا أن نقول : الأمر بيد الله يفعل ما يشاء ، وسوف يسقط أصحاب العقليات المريضة والمشبوهة كما تسقط أوراق الخريف التي لا جدوي فيها ولا شأن ، بمشيئة الله تعالى .

أما صورة عامة المسلمين فهي بعيدة عن تطبيق تعاليم الدين الحنيف على الحياة والمجتمع ، بل الأصح أن أمراضاً خلقية ودينية وعقلية حلت محلها فقلما نجد فرداً من أفراد المجتمع المسلم يمثل جزءاً كاملاً من هذه التعاليم ويقدم نموذجاً دينياً في الحياة ، إنما هو الحيد عن الطريق ، والجهل بالواجبات والمسئوليات ، وأساليب التعايش مع الفرد والجماعة ، والغفلة عن أداء الفرائض والواجبات ، وكيفية العلاقات مع الناس ، والطريق المؤدي إلى مرضيات الرب تبارك وتعالى ، فإن كان شخص لا يعرف هذه الحقوق والآداب وعاش في بيئة مظلمة ، ومجتمع جاهلي فلا يكون ذلك مبعث العجب والحيرة ، أما إذا كان الشخص يعد من أهل العلم والفضل ، والأدب والثقافة ويتمتع لدى العامة بمكانة محترمة ، ثم هو لا يبالي بالثوابت الإيمانية والعقدية ولا يكترث بالإسفاف والتدلي إلى مهاوي السوءات من الأخلاق والفضيلة ، ولا يهتم بتجنب جليس السوء من الفساق والفجرة والمفسدين في الأرض ، ولا يميز بين الحلال والحرام فأين ذلك التميز الإسلامي الذي يميز المسلم عن الآخرين ، بل الحياة المعاشة مختلطة من الخير والشر ، والمجتمع مجموعة من الناس ليس غير .

ونجد في هذه المجموعة كل نوع من الجرائم والذنوب والمعاصي ، ومن الرذائل والفواحش والمنكرات ، والاهتمام بالذات والمصالح الشخصية بصرف النظر عن مصالح الدين والأمة ، وبذل السعي لرفع مستوى المعيشة مهما كلف ذلك ارتكاب جنايات وجرائم ومظالم ، وخرق الأعراض وانتهاك

الحرمات وتبرير كل شيئ من الاعتداءات ، أضف إلى ذلك الانتهازية ، والكبر والصلف والخداع والخيانة وسفك الدماء ، وسد طريق النجاح والسعادة في وجوه الناس ، من غير اكتراث بالصلات الروحية والعلاقات الأخوية ، وإثارة الفتن بين أعضاء الأسر والعائلات والمجتمع ، واستبدال الصداقة بالعداوة وتربص الدوائر بالأصدقاء والإخوة في الدين ، وإهلاك الحرث والنسل ، وشحن النفوس بالضغائن والأحقاد ، إلى غير ذلك مما يأباه العقل والشرع والإيمان ، ويعتبره هدماً للقيم والسلوك الإنساني الرفيع .

يتبين من السطور المذكورة أعلاه ، أن ثمة صورتين لأعضاء المجتمع المسلم ، ففي الصورة الأولى يعاني المسلم الصادق المؤمن عنتاً وإرهاقاً من الفريق المسلم العائش أحلاماً وآمالاً غير إنسانية وأدواءً خلقية عضالاً سلخته عن الحقائق ورمته إلى مزبلة من التاريخ الكالح الذي صنعه أهل اليونان والرومان قبل الإسلام ، فهو الفريق الذي ينتمي إلى المجتمع المسلم ، ولكنه يحارب الإسلام وثقافته ودعوته ، ويعتز بثقافته المادية وحضارته الوضعية التقليدية التي لا علاقة لها بحضارة الإسلام ومدنيته .

والصورة الثانية للمسلم الذي لم يعش في جو ديني وعلمي وتربوي وهو لا يعرف شيئاً عن الحضارة الإيمانية التي يصنعها الإسلام لتزكيته من جميع شوائب الأغراض الخسيسة ، وخدمة المصالح الذاتية ، ولا يعدو علمه بالإسلام سوى التقاليد والعادات ، ولا يكون لديه تمييز بين الحق والباطل ، وبين المعصية والطاعة ، فيعيش بدون نظام ومن غير التزام بالدين وتعاليمه الخالدة ، كما هو الشأن في مجتمعنا المسلم في العصر الراهن ، ولقد جاء فيما قاله تبارك وتقدس وضرب مثالاً للحق والباطل في سورة الرعد الآية/١٧ :

﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ، كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (سورة الرعد الآية/١٧) .

فللحق طريق واحد فحسب ، وللباطل طرائق شتى .

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٣٤/٠٨/٢٠هـ ٢٠١٣/٠٦/٢٩م

التوجيه الإسلامي :

بعثة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام

بقلم : سماحة الشيخ العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي
تعريب : محمد فرمان الندوي

إن الله تعالى خلق الكون وعمره بالمخلوقات الكثيرة ، وأفاض على الإنس خاصة لباس العز والكرامة ، وميزهم عنها ، وأبدى قدرته بوجه خاص بحيث إن الإنسان كان خلقاً وضيعاً ، أي خلق من طين يؤطأ ويداس ، لكن نفخ فيه الروح ، فإنه يستطيع أن يبلغ إلى درجة لا نهاية لها ، ففي جانب جعل أصله وجوهره وضيعاً ، وفي جانب آخر خص بمزايا رفيعة وخصائص عالية للعمل ، فكان الإنسان مجموعة الخير والشر ، لأن الروح التي نفخت فيه إذا ارتبط الإنسان بها أنجز أعمالاً جليلة ، وإذا اتصل بأصله وجوهره أوشك أن يصل إلى أسفل سافلين .

فإن هناك صفتين للإنسان في بنيته ، وهما تؤثران تأثيراً كبيراً في مجالاتهما ، فإنه قد وصل بواحدة منهما إلى مهوى سحيق تارة ، وضرب أروع مثال بأخراهما تارة أخرى ، فإن ما أودع في الإنسان من تمثيل دور رائع جعله الله عز وجل خليفة بأرضه ، لكن بشرط أن يكون قوي الرابطة بالروح التي نفخت فيه ، فمن أبعد نفسه عنها ورجع إلى أصله بلغ إلى الحضيض الأسفل ، قال الله عز وجل : ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ❖ وَطُورِ سِينِينَ ❖ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ❖ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ❖ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ❖ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ❖ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ❖ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ (سورة التين الآيات/١ – ٨) .

وكل الله إلى الأفراد الذين يحملون منصب الخلافة أن يصلحوا المجتمع الفاسد للإنسان ويكوّنوا بيئة للعمل بأوامر الله تعالى ، والأهم المهم أن يقر الإنسان بأن الله عز وجل خالقه ، فلم يتركه هملاً ، بل قرر يوماً يجتمع فيه الأولون والآخرون ، فيحاسبهم ، فيجزي المحسنين ، ويعاقب المجرمين ، قال الله عز وجل : ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ❖ وَأَخْرَجَتْ الأَرْضُ

أَثْقَالَهَا ❖ وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا ❖ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ❖ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ❖ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ❖ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه ❖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾ (سورة الزلزال الآيات/١ – ٨) وقال عن الذين يعملون عملاً صالحاً : ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى ❖ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ❖ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى ❖ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ (سورة النجم الآيات/٣٩ – ٤٢) وقال في موضع آخر عن المحسنين والمجرمين : ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً ❖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً ❖ وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ❖ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً﴾ (سورة النساء الآيات/١٢٣ – ١٢٦) .

إن مواهب العقل والفهم التي كانت لازمة لتطبيق نظام الخلافة على هذه الأرض جعل الله الإنسان فيها مخيراً بالنسبة إلى العلم والتجربة الإنسانية ، وأما ما لا يتعلق بعلمه وتجربته فإن الله كشفها وأرشد الإنسان إلى استعمالها على أحسن وجه بالوحي الذي أنزل على الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وكان هذا التفصيل والشرح أيضاً بالكتب المنزلة على الأنبياء وبالوسائط الأخرى ، وكان ذلك أنه حينما سكنت واستقرت ذرية آدم على هذه الأرض وانتشر الفساد والانحراف عن الحق في الإنس جراء الشهوات والملذات وبهارج الدنيا وزخارفها ، اختار الله رجلاً منهم يملك سلوكاً رفيعاً لمهمة الإصلاح والإرشاد ، وجعله نبياً ، فكان يأتيه الوحي بالملائكة ويبلغ النبي المرسل من الله إلى أفراد ضالين من قومه ، فكثرت ذرية آدم عليه السلام كابراً عن كابر ، وكلما عم الزيغ والضلال في الناس طلباً لتسهيلات الحياة وإغواءً من الشيطان ، أرسل الله نبياً من أنبيائه منهم ، وإذا لم تكن النتائج مبشرة بالخير رغم جميع المساعي التي بذلت نحو هداية القوم نزل عذاب من الله تعالى على هؤلاء الناس ، فأهلك الأمم التي عصت الأنبياء والرسل عليهم السلام وأبادها إبادة تامة .

كان الأنبياء ينذرون الناس من يوم الجزاء والعقاب ، ويلفتون أنظارهم إلى أن يعيشوا وفق الشريعة الإسلامية ، وإذا اشرأبت المعاصي

أعناقها في المجتمع سعوا لإزالتها ومحوها سعياً حثيثاً ، فإنهم ما زالوا يوصون الناس بأن يؤمنوا بأن الله هو الخالق والمالك وهو رب العالمين ، لا شريك له ، وقد صرح الله بغاية الإنسان في هذه الدنيا قائلاً : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ وقال أيضاً : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون الآية/١١٥) .

سيدنا نوح عليه السلام والأنبياء الآخرون :

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم كثيراً من الأنبياء الذين نصحوا أممهم وأقوامهم ، فكان منهم سيدنا نوح عليه السلام ، الذي ما زال ينصح قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، لكن ما آمن به إلا عدد قليل ، وظل أكثرهم عصاة مجرمين ، فنزل عليهم عقاب من الله ، وأغرقوا ، جاءت قصة نوح عليه السلام في القرآن في سورة هود : ٢٥ – ٤٩ .

وردت في القرآن بعد قصة نوح وقومه قصص هود وصالح وشعيب عليهم السلام ، الذين صدعوا بالحق في أممهم عاد وثمود ولوط ومدين ، في أزمنة مختلفة ، فكانت قوم عاد في مرض الشرك والكبر وغير ذلك ، وقوم ثمود أيضاً في الشرك والطغيان وغير ذلك من الضلالات ، وقوم لوط في الشذوذ الجنسي وغوايات الترف والبذخ ، وقوم مدين في الشرك والتطفيف في الكيل والوزن ، والتجاوزات الخلقية ، فأعرض هؤلاء عن نصائح أنبيائهم وأصروا على نجاستهم وطغيانهم ، واستهزؤا بأنبيائهم ، وآذوهم إيذاءً شديداً ، فدمروا تدميراً بعذاب من الله تعالى .

بعد ذكر هؤلاء الأمم ، وبصفة خاصة وردت قصة فرعون وآله ، الذين نصحهم موسى عليه السلام أن يجتنبوا عصيان الله والإشراك به ، وأن يخلوا سبيل بني إسرائيل (أقلية مصر آنذاك) مبتعدين عن الظلم والقهر عليهم ، لكن فرعون مارس دعوى الألوهية والاعتداء على بني إسرائيل ، فاختار موسى عليه السلام أساليب مختلفة لنصيحة فرعون ، ولقّن فرعون بأن يختار منهجه وأسلوب حياته ، فنزل عليه العذاب بالعصيان ، الذي كان عبارة عن الإغراق في بحر القلزم ، وعلى كل ، كلما ازداد الفساد الخلقي والديني والضلالة في أمم وذريات الإنس المختلفة ولم تجتنب العصيان والطغيان رغم دعوات متكررة من الأنبياء عليهم السلام ، ابتليت بنقمة الله

عز وجل ، ولم تخلص نفسها من بطش الله تعالى وفتكه .

ذكر الله قصص هؤلاء الأنبياء وأقوامهم في سورة هود على سبيل المثال ، قال الله عز وجل : ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ .. وقال : وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً .. وقال : وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلاماً .. وقال : وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً وقال : وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (سورة هود الآيات/٥٠ – ١٠١) ووردت في سورة يونس مجملة قال الله تعالى : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ ❖ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ❖ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ❖ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ❖ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ﴾ (سورة يونس الآيات/٧١ – ٧٥) ، وقد كشف القرآن عن مساعي هؤلاء الأنبياء وأقوامهم أنها حينما تمرغت في عصيان الله وكفرانه رغم ما أعلن الأنبياء لهم وأسروا في الدعوة أخذهم الله شرَّ أخذ ، وعاقب بجرائمهم وطغيانهم ، قال الله تعالى : ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ (سورة هود الآية/١١٣) .

سيدنا إبراهيم عليه السلام :

ورد ذكر سيد الأنبياء إبراهيم عليه السلام في القرآن في أمكنة متعددة ، وبأساليب مختلفة ، فقد ضرب أروع مثال في طاعة الله تعالى ، يندر وجوده في الطاعات ، فإنه آمن بخالقه ومالكه من بصيرته منذ الصغر ، ودعا إليه بكل نشاط ، وقدم في هذا المجال تضحيات جبارة كانت أعلى نموذج للفداء والطاعة ، فإنه ألقي في النار على قوله كلمة لا إله إلا الله ، فرضي به ، واستمر في جهره بالحق ، ثم نفي من وطنه فترك وطنه الحبيب

في سبيل الله عز وجل ، واستسلم لأمر الله تعالى أيضاً أن يترك ولده الرضيع الأثير الذي ولد بعد انتظار شديد وبتأخير ، وأمه في واد غير ذي زرع ، على مئات من الأميال ، ورضي فرحاً مسروراً بأن يفدي حب هذا الابن الحبيب الوحيد مع حب أمه .

ثم امتحن الله تعالى طاعة إبراهيم مرةً ثانيةً أن هذا الولد إسماعيل الذي ترك في أرض غير مسكونة ومكان قفر ، وظل حياً يرزق ، ثم كبر وصار ولداً مطيعاً لوالديه ، صالحاً في نفسه ، أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يذبحه ، فانقاد إبراهيم عليه السلام لهذا الأمر ، ومرة أخرى ضحى بحب ابنه ، وحينما بدأ إمرار السكين على حلقومه أخبر بقبول عمله ، فجاء كبش من الجنة وذبح بصورة عملية ، كانت هذه الطاعة مثالية ، بحيث إن الله جعل إبراهيم عليه السلام أحب الأنبياء ، وكل تضحياته التي كانت رفيعة الشان والمنزلة بالقبول من الأنبياء الآخرين ، وخلع عليه لقب خليل الله تعالى ، فقد جاء في القرآن الكريم : ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ (سورة النساء الآية/١٢٥) ، ونقل الله سبحانه وتعالى قبوله وتوفيقه إلى نسله ، الذي دعا له سيدنا إبراهيم عليه السلام ، لكن الله عز وجل قال حين استجابته دعاءه : إن توفيقه هذا يستمر إلى أولاده الذين يسلكون الصراط المستقيم ، ويجعلون أنفسهم أهلاً له ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (سورة البقرة الآية/١٢٤) .

وقال الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ ۞ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (سورة إبراهيم الآيات/٣٥ – ٣٧) .

لقد قام إبراهيم عليه السلام بامتثال أمر أدق وأصعب لله تعالى ، طلباً لمرضاته ، بروح من الفداء والتضحية ، فأكرمه لله تعالى بلقب خليل الله ، وكان نبياً حبيباً عند ربه ، فأخرج الله آخر نبيه محمداً ﷺ من ذرية إسماعيل عليه السلام .

رفع الله مكانة إسحاق ولد إبراهيم عليه السلام ، فكان هو ، وابنه ، ثم حفيده يوسف أنبياء ، ولم تزل سلسلة النبوة باقية في ذرية يعقوب التي تعرف ببني إسرائيل ، لكن قضى الله أن يكون في ذرية إسماعيل آخر وأعظم نبي ، ويسند إليه مسئولية الهداية والإرشاد في الأوضاع التي قد بلغت فيها الدنيا إلى أحط الدرجات من التسفل والانهيار ، وكادت تباشير العهد الأخير أن تطلع ، فكانت نبوة محمد ﷺ إلى يوم القيامة .

سيدنا موسى عليه السلام :

إن بني إسرائيل ، الذين كانوا أولاد يعقوب من نسل إبراهيم عليه السلام ، ولد فيهم أعظم الأنبياء في بني إسرائيل موسى عليه السلام ، جاء ذكره ضمن أولي العزم من الرسل .

إن بني إسرائيل هاجروا إلى مصر ، حينما صار يوسف عليه السلام ملكاً لها ، واستقروا هنا إلى مدة ، لكن اضطهدوا من فرعون حاكم مصر المشرك ، لأنهم كانو في أقلية ، فبعث الله سيدنا موسى عليه السلام ليكون مبعث خلاصهم من ظلم فرعون ، فبذل موسى عليه السلام سعيه في نصح الملك الظالم الفتاك في عصره ، ودعاه إلى التوحيد والشرك ، وقاوم طغيانه وقهره ، ثم قام داعياً في قوم بني إسرائيل ، الذين أنجاهم من ظلم فرعون في مصر ، وواصل جهوده للإرشاد والتوجيه وإصلاح العقائد وتسديد الأعمال ، وكان مما امتن الله به عليه أنه كلمه تكليماً ، وناداه بكليم الله ، وأنزل عليه التوراة ثاني الكتب السماوية ، التي هي مجموعة توجيهات وإرشادات للهدى والطاعة .

إن فرعون وقومه قد عاثوا في الأرض ، وكان بنو إسرائيل في أقلية ، فكلما ولد فيهم ولد قتله فرعون وقومه ، وإذا ولدت بنت تركوها لتكون خادمة لبيوت قوم فرعون ، فكانت الطبقة المتخلفة المضطهدة للبلاد تتعرض للظلم والفساد أكثر مما كانت ، ورغم ذلك كله كان فرعون يعتبر نفسه إلهاً ، ويجبر الناس على عبادته والسجود له ، ويعلن بكلمات صريحة : ليس لكم من إله غيري ، ونصحه سيدنا موسى عليه السلام كثيراً ، واستمر في نصحه حتى انقضت مدة ، لكن لم يمتنع فرعون عن عدوانه ، فجاء عقاب من الله تعالى ، فأغرق فرعون وآله وأتباعه في البحر ، فتخلص بنو إسرائيل

من ظلم فرعون ، وكان من فضل الله وإحسانه على بني إسرائيل أنه جعلهم شامة بين الأمم ، وأحلهم محلاً رفيعاً بين جميع طبقات الناس .

قيض الله تعالى موسى عليه السلام لهداية قومه بني إسرائيل ، وبارك فيهم ، فسمى الذين اختاروا تعاليمهم وعملوا بها يهوداً ، لكن بعد مدة جعل اليهود يعرضون عن هداية أنبيائهم ، حتى وصلوا إلى مظاهر الشرك ، وأصروا على اقتراف الأمراض الخلقية ، وخانوا وظلموا واعتدوا على الآخرين .

فألقاهم الله تعالى في لجة من المصايب بالأمم الأخرى ، لكنهم لم يرتدعوا عن اعتداءاتهم وسيئات أعمالهم ، أضف إلى ذلك ظلمهم على الأنبياء وقتلهم ، حتى دبروا خطة قتل سيدنا عيسى عليهما السلام في نهاية المطاف ، فجعل الله كيدهم في نحورهم ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ❖ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ ❖ وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة المائدة الآيات/٦٩ – ٧١) .

وقال : ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُبِيناً ❖ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً ❖ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ❖ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً ❖ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ❖ بَلْ رَفَعَهُ

اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ❖ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ❖ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً ❖ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ (سورة النساء الآيات/١٥٣ – ١٦١) .

سيدنا عيسى بن مريم عليهما السلام :

لما عم الانحراف عن دين الله ، وانتشر الزيغ والضلال في بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام بعث الله تعالى عيسى عليه السلام لإصلاحهم ودعوتهم إلى الله تعالى ، وأكرمه بأنه كان يتكلم في الصغر ، ويجهر بالحق في السر والعلن ، وبشر الله تعالى مريم عليهما السلام التي كان لها من قضائه أن تكون أما بالملائكة ، استغربت مريم من أنى يكون لها ولد بدون زوج ، فأزال الله حيرتها واستغرابها ، وردت قصتها مفصلة في آيات القرآن الكريم ، التي تناولت بذكر بعثة عيسى وخصائصه وتعليم الناس الأخلاق وتفهيمهم الآيات البينات وغيرها – قال الله تعالى : ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ❖ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ❖ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ❖ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ❖ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ❖ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ❖ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (سورة آل عمران الآيات/٤٥ – ٥٩) .

حينما وجه بعض شرار الناس التهمة إلى مريم أشارت إلى الصبي

عيسى عليه السلام لمعرفة الأمر البين ، ذكر القرآن قصة إبداء عيسى عليه السلام الحق في حضن أمه قائلاً : ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً ❖ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ❖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً ❖ وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً ❖ وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً ❖ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ❖ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ❖ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (سورة مريم الآيات/٢٩ – ٣٦) .

لم يقبل قوم عيسى عليه السلام دعوته ورسالته كما كان عليهم ، واعترف الآخرون بنبوته ، ولقب هؤلاء المعترفون بالمسيحيين وأتباع عيسى عليه السلام ، واشتهر لقبهم بالنصرايين نسبة إلى قرية عيسى : الناصرة ، إن بعض الغلاة في عيسى عليه السلام قد أفرطوا فيه فضلوا عن الطريق ، واعتبروا عيسى عبد الله ورسوله أرفع من البشر ، وقالوا عنه : هو ابن الله ، هذا القول كان لاذعاً فأنزل الله به عقاباً من عنده ، قال الله تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً ❖ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً ❖ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً ❖ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً ❖ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً ❖ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾ (سورة مريم : الآيات/٨٨ – ٩٣) .

وذكر الله في موضع آخر حال الضالين : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ (سورة المائدة الآية/١١٦) ، كان عيسى عليه السلام يدعو الناس إلى الحق ، ويدعوهم إلى الله ، فبعض آمن ، وبعض كفر ، قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ

فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (سورة الصف الآية/١٤) .

حينما لم يؤد بنو إسرائيل واجبات الله ورسوله نزعت النبوة منهم ، ونقلت إلى أسرة إسماعيل التي بعث فيها محمد ﷺ نبياً ، فكانت نبوته مناب الأنبياء الماضين عليهم الصلاة والسلام ، وشريعته جامعة الشرائع السابقة ، وأعلن بأن يكون نبي بعده ﷺ في هذه الفترة ، فكان ﷺ نبياً إلى الساعة ، وأنزلت عليه أحكام وقوانين على أكمل وجه ، فوجب العمل بدينه وقوانين كتابه ، ونزل عليه القرآن آخر الكتب السماوية ، الذي سجلت فيه وصايا الفوز والهداية .

بعث الله تعالى بعد ستة قرون من سيدنا عيسى عليه السلام خاتم الأنبياء محمد ﷺ ، وقد بشر بقدومه سيدنا عيسى عليه السلام ، وجاء ذكره في القرآن الكريم ، قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (سورة الصف الآية/٦) .

لكن بعث هذا النبي الأخير بصفاته المؤثرة العملاقة وجاء بصورة أكمل وأشمل في تعاليم الأنبياء التي كانت مطبقة من قبل ، فواجه عداءاً شديداً ، قال الله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (سورة الصف الآية/٦) ولما جعل الله يدخلون في دين الله أفواجاً ، وصاروا أتباع محمد ﷺ في عدد لا بأس به ، سمي الدين الذي جاء به الرسول ﷺ بالإسلام ، الذي أعلنه أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام ، قال الله عز وجل : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (سورة الحج الآية/٧٨) وقال : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (سورة آل عمران الآية/٨٥) .

حكمة التكرار في القرآن الكريم

بقلم :الإمام الداعية بديع الزمان سعيد النورسي

ترجمة : الدكتور إحسان قاسم الصالحي

[رد شاف ومقنع على اعتراضات ترد حول التكرار في القرآن الكريم].

إخواني الأعزاء الأوفياء ! كنت أعاني من حالة مضطربة بائسة حينما تناولت هذه المسألة بالكتابة ، لذا اكتفها شيء من الغموض لكونها بقيت كما جاءت عفو الخاطر ، ولكني أدركت أن تلك العبارات المشوشة تنطوي على إعجاز رائع ، فيا أسفى إذ لم أستطع أن أوفي حق هذا الإعجاز من الأداء والتعبير ، فعبارات الرسالة مهما كانت خافتة الأنوار إلا أنها تعد – من حيث تعلقها بالقرآن الكريم – "عبادة فكرية" و "صدفة" تضم لآلئ نفيسة سامية ، فالرجاء أن تصرفوا النظر عن قشرتها وتنعموا النظر بما فيها من لآلئ ساطعة ، فإن وجدتموها جديرة فاجعلوها "المسألة العاشرة" لرسالة الثمرة ، وإلا فاقبلوها رسالة جوابية عن تهانيكم .

ولقد اضطررت إلى كتابتها في غاية الإجمال والاقتضاب ، لما كنت أكابد من سوء التغذية وأوجاع الأمراض ، حتى إنني أدرجت في جملة واحدة منها حقائق وحججاً غزيرة ، وأتممتها – بفضل الله – في يومين من أيام شهر رمضان المبارك ، فأرجو المعذرة عما بدر مني من تقصير ، إخوتي الأوفياء الصادقين ! حينما كنت أتلو القرآن – المعجز البيان – في الشهر المبارك (رمضان) ، تدبرت في معاني الآيات الثلاث والثلاثين – التي وردت إشاراتها إلى رسائل النور في "الشعاع الأول" فرأيت أن كل آية منها – بل آيات تلك الصفحة في المصحف وموضوعها – كأنها تطل على رسائل النور وطلابها من جهة نيلهم غيضاً من فيضها وحظاً من معانيها ، لا سيما آية النور في سورة النور فهي تشير بالأصابع العشر إلى رسائل النور ، كما أن الآيات التي تعقبها – وهي آية الظلمات – تطل على معارضي الرسائل وأعدائها بل تعطيهم حصة كبرى ، إذ لا يخفى أن مقام تلك الآيات وأبعادها ومراميها غير قاصرة على زمان ومكان معينين بل تشمل الأزمنة والأمكنة جميعها ، أي تخرج من جزئية الأمكنة والأزمنة إلى كليتهما الشاملة ، لذا شعرت أن رسائل النور وطلابها إنما يمثلون في عصرنا هذا – حق التمثيل – فرداً واحداً من أفراد تلك الكلية الشاملة .

إن خطاب القرآن الكريم قد اكتسب الصفة الكلية والسعة المطلقة والرفعة السامية والإحاطة الشاملة ؛ لصدوره مباشرة من المقام الواسع المطلق للربوبية العامة الشاملة للمتكلم الأزلي سبحانه .. ويكتسبها من المقام الواسع العظيم لمن أنزل عليه هذا الكتاب ، ذلكم النبي الكريم الممثل للنوع البشري والمخاطب باسم الإنسانية قاطبة ، بل باسم الكائنات جميعاً ، ويكتسبها من توجه الخطاب إلى المقام الواسع الفسيح لطبقات البشرية كافة ، وللعصور كافة ، ويكتسبها أيضاً من المقام الرفيع المحيط النابع من البيان الشافي لقوانين الله سبحانه المتعلقة بالدنيا والآخرة ، بالأرض والسماء ، بالأزل والأبد ، تلك القوانين التي تخص ربوبيته وتشمل أمور المخلوقات كافة .

فهذا الخطاب الجليل الذي اكتسب من السعة والسمو والإحاطة والشمول ما اكتسب ، يبرز إعجازاً رائعاً وإحاطة شاملة ، بحيث : إن مراتبه الفطرية والظاهرية التي تلاطف أفهام العوام البسيطة – وهم معظم المخاطبين – تمنح في الوقت نفسه حصة وافرة لأعلى المستويات الفكرية ولأرقى الطبقات العقلية ، فلا يهب لمخاطبيه شيئاً من أرشاداته وحدها ، ولا يخصهم بعبرة من حكاية تاريخية فقط ، بل يخاطب مع ذلك كل طبقة في كل عصر – لكونها فرداً من أفراد دستور كلي – خطاباً ندياً طريا جديداً كأنه الآن ينزل عليهم .

ولا سيما كثرة تكراره : (الظالمين) .. (الظالمين) .. "وزجره العنيف لهم وإنذاره الرهيب من نزول مصائب سماوية وأرضية بذنوبهم ومظالمهم ، فيلفت الأنظار – بهذا التكرار – إلى مظالم لا نظير لها في هذا العصر ، بعرضه أنواعاً من العذاب والمصائب النازلة على قوم عاد وثمود وفرعون ، وفي الوقت نفسه يبعث السلوان والطمأنينة إلى قلوب المؤمنين المظلومين ، بذكره نجاة رسل كرام أمثال إبراهيم وموسى عليهما السلام .

ثم إن هذا القرآن العظيم يرشد كل طبقة من كل عصر إرشاداً واضحاً بإعجاز رائع ، مبيناً : أن "الأزمنة الغابرة" والعصور المندثرة التي هي في نظر الغافلين الضالين واد من عدم سحيق موحش رهيب ، ومقبرة مندرسة أليمة كئيبة ، يعرضها صحيفة حية تطفح عبراً ودروساً ، وعالماً عجيباً ينبض بالحياة ويتدفق بالحيوية من أقصاه إلى أقصاه ، ومملكة ربانية

ترتبط معنى بوشائج وأواصر فيبينها – بإعجازه البديع – واضحة جلية كأنها مشهودة تعرض أمامنا على شاشة ، فتارة يأتي بتلك العصور ماثلة شاخصة أمامنا ، وتارة يأخذنا إلى تلك العصور .

ويبين بالإعجاز نفسه "الكون" الذي يراه الغافلون فضاء موحشاً بلا نهاية ، وجمادات مضطربة بلا روح تتدحرج في دوامة الفراق والآلام ، يبينه القرآن كتاباً بليغاً ، كتبه الأحد الصمد ، ومدينة منسقة عمّرها الرحمن الرحيم ، ومعرضاً بديعاً أقامه الرب الكريم لإشهار مصنوعاته ، فيبعث بهذا البيان حياة في تلك الجمادات ، ويجعل بعضها يسعى لإمداد الآخر ، وكل جزء يغيث الآخر ويعينه ، كأنه يحاوره محاورة ودية صميمة ، فكل شيء مسخّر وكل شيء أنيط به وظيفة وواجب .. وهكذا يلقى القرآن دروس الحكمة الحقيقية والعلم المنور إلى الإنس والجن والملائكة كافة ، فلا ريب أن هذا القرآن العظيم – الذي له هذا الإعجاز في البيان – قمينٌ بأن يحوز خواص راقية عالية ، وميزات مقدسة سامية ، أمثال :

في كل حرف منه عشر حسنات ، بل ألف حسنة أحياناً ، بل ألوف الحسنات في أحيان أخرى .. وعجز الجن والإنس عن الإتيان بمثله ولو اجتمعوا له .. ومخاطبته بني آدم جميعهم بل الكائنات برمتها مخاطبة بليغة حكيمة .. وحرص الملايين من الناس في كل عصر على حفظه عن ظهر قلب بشوق ومتعة .. وعدم السآمة من تلاوته الكثيرة رغم تكراراته .. واستقراره التام في أذهان الصغار اللطيفة البسيطة مع كثرة ما فيه من جمل ومواضع تلتبس عليهم .. وتلذذ المرضى والمحتضرين – الذين يتألمون حتى من أدنى كلام – بسماعه ، وجريانه في أسماعهم عذباً طيباً .. وغيرها من الخواص السامية والمزايا المقدسة التي يحوزها القرآن الكريم ، فيمنح قراءه وتلاميذه أنواعاً من سعادة الدارين .

ويظهر إعجازه الجميل أيضاً في "أسلوب إرشاده البليغ" حيث راعى أحسن الرعاية أمية مبلغه الكريم باحتفاظه التام على سلاسته الفطرية ، فهو أجل من أن يدنو منه تكلف أو تصنع أو رياء – مهما كان نوعه – فجاء أسلوبه مستساغاً لدى العوام الذين هم أكثرية المخاطبين ملاطفاً بساطة أذهانهم بتنزلاته الكلامية القريبة من أفهامهم .. باسطاً أمامهم صحائف ظاهرة ظهوراً بديهيا كالسماوات والأرض .. موجهاً الأنظار إلى معجزات القدرة الإلهية

وسطور حكمته البالغة المضمرتين تحت العاديات من الأمور والأشياء .

ثم إن القرآن الكريم يظهر نوعاً من إعجازه البديع أيضا في "تكرار البديع" لجملة واحدة ، أو لقصة واحدة ، وذلك عند إرشاده طبقات متباينة من المخاطبين إلى معان عدة وعبر كيثرة في تلك الآية أو القصة ، فاقتضى التكرار حيث إنه كتاب دعاء ودعوة كما أنه كتاب ذكر وتوحيد ، وكل من هذا يقتضي التكرار ، فكل ما كرر في القرآن الكريم إذن من آية أو قصة إنما تشتمل على معنى جديد وعبرة جديدة .

ويظهر إعجازه أيضاً عند تناوله "حوادث جزئية" وقعت في حياة الصحابة الكرام أثناء نزوله وإرسائه بناء الإسلام وقواعد الشريعة ، فتراه يأخذ تلك الحوادث بنظر الاهتمام البالغ ، مبيناً بها أن أدق الأمور لأصغر الحوادث جزئية ، إنما هي تحت نظر رحمته سبحانه ، وضمن دائرة تدبيره وإرادته ، فضلاً عن أنه يظهر بها سنناً إلهية جارية في الكون ودساتير كلية شاملة ، زد على ذلك أن تلك الحوادث – التي هي بمثابة النويات عند تأسيس الإسلام والشريعة – ستثمر فيما يأتي من الأزمان ثماراً يانعة من الأحكام والفوائد .

إن تكرر الحاجة يستلزم التكرار ، هذه قاعدة ثابتة ، لذا فقد أجاب القرآن الكريم عن أسئلة مكررة كثيرة خلال عشرين سنة فأرشد بإجاباته المكررة طبقات كثيرة متباينة من المخاطبين : فهو يكرر جملاً تملك ألوف النتائج ، ويكرر إرشادات هي نتيجة لأدلة لا حد لها ، وذلك عند ترسيخه في الأذهان وتقريره في القلوب ما سيحدث من انقلاب عظيم ، وتبدل رهيب في العالم ، وما سيصيبه من دمار وتفتت الأجزاء ، وما سيعقبه من بناء الآخرة الخالدة الرائعة بدلاً من هذا العالم الفاني .

ثم إنه يكرر تلك الجمل والآيات أيضاً عند إثباته أن جميع الجزئيات والكليات ابتداء من الذرات إلى النجوم إنما هي في قبضة واحد أحد سبحانه وضمن تصرفه جل شأنه .

ويكررها أيضاً عند بيانه الغضب الإلهي والسخط الرباني على الإنسان المرتكب للمظالم عند خرقه الغاية من الخلق ، تلك المظالم التي تثير هيجان الكائنات والأرض والسماء والعناصر وتؤجج غضبها على مقترفيها .

لذا فإن تكرار تلك الجمل والآيات عند بيان أمثال هذه الأمور العظيمة الهائلة لا يعد نقصاً في البلاغة قط ، بل هو إعجاز في غاية الروعة

والإبداع ، وبلاغة في غاية العلو والرفعة ، وجزالة – بل فصاحة – مطابقة تطابقاً تاماً لمقتضى الحال .

فعلى سبيل المثال : إن جملة (بسم الله الرحمن الرحيم) هي آية واحدة تتكرر مائة وأربع عشرة مرة في القرآن الكريم ذلك لأنها حقيقة كبرى تملأ الكون نوراً وضياءً ، وتشد الفرش بالعرش برباط وثيق – كما بيناها في اللمعة الرابعة عشرة – فما من أحد إلا هو بحاجة مسيسة إلى هذه الحقيقة في كل حين ، فلو تكررت هذه الحقيقة العظمى ملايين المرات ، فالحاجة ما زالت قائمة باقية لا ترتوي ، إذ ليست هي حاجة يومية كالخبز ، بل هي أيضاً كالهواء والضياء الذي يضطر ويشتاق إليه كل دقيقة .

إن الآية الكريمة : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ تتكرر ثماني مرات في سورة "الشعراء" فتكرار هذه الآية العظيمة التي تنطوي على ألوف الحقائق في سورة تذكر نجاة الأنبياء عليهم السلام وعذاب أقوامهم ، إنما هو لبيان أن مظالم أقوامهم تمس الغاية من الخلق ، وتتعرض إلى عظمة الربوبية المطلقة ، فتقتضي العزة الربانية عذاب تلك الأقوام الظالمة مثلما تقتضي الرحمة الإلهية نجاة الأنبياء عليهم السلام ، فلو تكررت هذه الآية ألوف المرات لما انقضت الحاجة والشوق إليها ، فالتكرار هنا بلاغة راقية ذات إعجاز وإيجاز .

وكذلك الآية الكريمة : ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ المكررة في سورة "الرحمن" والآية الكريمة : ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ المكررة في سورة "المرسلات" تصرخ كل منهما في وجه العصور قاطبة وتعلن إعلاناً صريحاً في أقطار السماوات والأرض أن كفر الجن والأنس وجحودهم بالنعم الإلهية ، ومظالمهم الشنيعة ، يثير غضب الكائنات ويجعل الأرض والسماوات في حنق وغيظ عليهم .. ويخل بحكمة خلق العالم والقصد منه .. ويتجاوز حقوق المخلوقات كافة ويتعدى عليها .. ويستخف بعظمة الألوهية وينكرها ، لذا فهاتان الآيتان ترتبطان بألوف من أمثال هذه الحقائق ، ولهما من الأهمية ما لألوف المسائل وقوتها ، لو تكررتا ألوف المرات في خطاب عام موجه إلى الجن والإنس لكانت الضرورة قائمة بعد ، والحاجة إليها ما زالت موجودة باقية ، فالتكرار هنا بلاغة موجزة جليلة ومعجزة جميلة .

وهكذا نرى أمثال هذه الأسس فيما تشتمل عليه أنواع التكرار في

القرآن الكريم ، حتى نرى أنه يعبر أكثر من عشرين مرة عن حقيقة التوحيد – صراحة أو ضمناً – في صحيفة واحدة من المصحف وذلك حسب اقتضاء المقام ، ولزوم الحاجة إلى الإفهام ، وبلاغة البيان ، فيهيج بالتكرار الشوق إلى تكرار التلاوة ، ويمد به البلاغة قوة وسموا من دون أن يورث سأما أو مللاً .

ولقد أوضحت أجزاء رسائل النور حكمة التكرار في القرآن الكريم وبينت حججها وأثبتت مدى ملاءمة التكرار وانسجامه مع البلاغة ، ومدى حسنه وجماله الرائع .

أما حكمة اختلاف السور المكية عن المدينة من حيث البلاغة ، ومن جهة الإعجاز ومن حيث التفصيل والإجمال فهي كما يأتي :

إن الصف الأول من المخاطبين والمعارضين في مكة كانوا مشركي قريش وهم أميون لا كتاب لهم ، فاقتضت البلاغة أسلوباً عالياً قوياً وإجمالاً معجزاً مقنعاً ، وتكراراً يستلزمه التثبيت في الإفهام ؛ لذا تناولت أغلب السور المكية أركان الإيمان ومراتب التوحيد بأسلوب في غاية القوة والعلو ، وبإيجاز في غاية الإعجاز ، وكررت الإيمان بالله والمبدأ والمعاد والآخرة كثيراً ، بل قد عبّرت عن تلك الأركان الإيمانية في كل صحيفة أو آية ، أو في جملة واحدة ، أو كلمة واحدة ، بل ربما عبّرت عنها في حرف واحد ، في تقديم وتأخير ، في تعريف وتنكير ، في حذف وذكر ، فأثبتت أركان الإيمان في أمثال تلك الحالات والهيئات البلاغية إثباتاً جعل علماء البلاغة وأئمتها يقفون حيارى مبهوتين أمام هذا الأسلوب المعجز ، ولقد وضّحت رسائل النور ولا سيما "الكلمة الخامسة والعشرون "المعجزات القرآنية" – مع ذيولها – إعجاز القرآن في أربعين وجهاً من وجوهها ، وكذلك تفسير "إرشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" باللغة العربية الذي يبين بياناً رائعاً إعجاز القرآن من حيث وجه النظم بين الآيات الكريمة ، فأثبتت كلتا الرسالتين فعلا علو الأسلوب البلاغي الفذ وسمو الإيجاز المعجز .

أما الآيات المدنية وسورها فالصف الأول من مخاطبيها ومعارضيها كانوا من اليهود والنصارى وهم أهل كتاب مؤمنون بالله ، فاقتضت قواعد البلاغة وأساليب الإرشاد وأسس التبليغ أن يكون الخطاب الموجه لأهل الكتاب مطابقاً لواقع حالهم ، فجاء بأسلوب سهل واضح سلس ، مع بيان وتوضيح في الجزئيات – دون الأصول والأركان (الإيمانية) – لأن تلك الآيات

الجزئيات هي منشأ الأحكام الفرعية والقوانين الكلية ، ومدار الاختلافات في الشرائع والأحكام ، لذا فغالبا ما نجد الآيات المدنية واضحة سلسة بأسلوب بياني معجز خاص بالقرآن الكريم ، ولكن ذكر القرآن فذلكة قوية أو نتيجة ملخصة أو خاتمة رصينة أو حجة دامغة تعقيباً على حادثة جزئية فرعية ، يجعل تلك الحادثة الجزئية قاعدة كلية عامة ، ومن بعد ذلك يضمن الامتثال بها بترسيخ الإيمان بالله الذي يحققه ذكر تلك الفواصل الختامية الملخصة للتوحيد والإيمان والآخرة ، فترى أن ذلك المقام الواضح السلس يتنور ويسمو بتلك الفواصل الختامية ، – ولقد بينت "رسائل النور" وأثبتت حتى للمعاندين مدى البلاغة العالية والميزات الراقية وأنواع الجزالة السامية الدقيقة الرفيعة في تلك الفذلكات والفواصل وذلك في عشر مميزات ونكت في النور الثاني من الشعلة الثانية للكلمة الخامسة والعشرين الخاصة بإعجاز القرآن – ، فإن شئت فانظر إلى ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، ﴿أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ وأمثالها من الآيات التي تفيد التوحيد وتذكر بالآخرة ، والتي تنتهي بها أغلب الآيات الكريمة ، تر أن القرآن الكريم عند بيانه الأحكام الشرعية الفرعية والقوانين الاجتماعية يرفع نظر المخاطب إلى آفاق كلية سامية ، فيبدل – بهذه الفواصل الختامية – ذلك الأسلوب السهل الواضح السلس أسلوباً عالياً رفيعاً ، كأنه ينقل القارئ من درس الشريعة إلى درس التوحيد ، فيثبت أن القرآن كتاب شريعة وأحكام وحكمة ، كما هو كتاب عقيدة وإيمان ، وهو كتاب ذكر وفكر ، كما هو كتاب دعاء ودعوة .

وهكذا ترى أن هناك نمطا من جزالة معجزة ساطعة في الآيات المدنية هو غير بلاغة الآيات المكية ، حسب اختلاف المقام وتنوع مقاصد الإرشاد والتبليغ .

فقد ترى هذا النمط في كلمتين فقط : (ربك) و (رب العالمين) إذ يعلم الأحدية بتعبير (ربك) ويعلم الواحدية بـ (رب العالمين) ، علماً أن الواحدية تتضمن الأحدية .

بل قد ترى ذلك النمط من البلاغة في جملة واحدة فيريك في آية واحدة مثلاً نفوذ علمه إلى موضع الذرة في بؤبؤ العين وموقع الشمس في

كبد السماء ، وإحاطة قدرته التي تضع بالآلة الواحدة كلا في مكانه ، جاعلة من الشمس كأنها عين السماء فيعقب : ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بعد آية ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ (سورة الحديد الآية/٦) أي يعقب نفوذ علمه سبحانه إلى خفايا الصدور بعد ذكره عظمة الخلق في السماوات والأرض وبسطها أمام الأنظار ، فيقر في الأذهان أنه يعلم خواطر القلوب وخوافي شؤونها ضمن جلال خلاقيته للسماوات والأرض وتدبيره لشؤونها ، فهذا التعقيب : ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ لون من البيان يحول ذلك الأسلوب السهل الواضح الفطري – القريب إلى أفهام العوام – إلى إرشاد سام وتبليغ عام جذاب .

سؤال : إن النظرة السطحية العابرة لا تستطيع أن ترى ما يورده القرآن الكريم من حقائق ذات أهمية ، فلا تعرف نوع المناسبة والعلاقة بين فذلكة تعبّر عن توحيد سام أو تفيد دستوراً كلياً ، وبين حادثة جزئية معتادة ؛ لذا يتوهم البعض أن هناك شيئاً من قصور في البلاغة ، فمثلاً لا تظهر المناسبة البلاغية في ذكر دستور عظيم : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ تعقيباً على حادثة جزئية وهي إيواء يوسف عليه السلام أخاه إليه بتدبير ذكي ، فيرجى بيان السر في ذلك وكشف الحجاب عن حكمته .

الجواب : إن أغلب السور المطولة والمتوسطة – التي كلّ منها كأنها قرآن على حدة – لا تكتفي بمقصدين أو ثلاثة من مقاصد القرآن الأربعة (وهي : التوحيد ، النبوة ، الحشر ، العدل مع العبودية) بل كل منها يتضمن ماهية القرآن كلها ، والمقاصد الأربعة معاً ، أي كل منها : كتاب ذكر وإيمان وفكر ، كما أنه كتاب شريعة وحكمة وهداية ، فكل سورة من تلك السور تتضمن كتباً عدة ، وترشد إلى دروس مختلفة متنوعة ، فتجد أن كل مقام – بل حتى الصحيفة الواحدة – يفتح أمام الإنسان أبواباً للإيمان يحقق بها إقرار مقاصد أخرى ، حيث إن القرآن يذكر ما هو مسطور في كتاب الكون الكبير ويبينه بوضوح ، فيرسخ في أعماق المؤمن إحاطة ربوبيته سبحانه بكل شيء ، ويريه تجلياتها المهيبة في الآفاق والأنفس ، لذا فإن ما يبدو من مناسبة ضعيفة ، يبني عليها مقاصد كلية فتتلاحق مناسبات وثيقة وعلاقات قوية بتلك المناسبة الضعيفة ظاهراً ، فيكون الأسلوب مطابقاً تماماً لمقتضى ذلك المقام ، فتتعالى مرتبته البلاغية .

عالم الجن وما إليه

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر

رئيس تحرير مجلة "البحوث الإسلامية" الرياض – (المملكة العربية السعودية)

يقول سبحانه في الذاريات ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الآية/٥٦) ، فهم جنس من العوالم التي أوجدها الله تعالى ، من ذرية إبليس ، والإنس من نسل آدم ، فإذا كان الإنس الذين جاء اسمهم من التآنس والتقارب ، قد خلقهم الله سبحانه لغاية هي عبادته ، والاستماع ثم الاستجابة لشرعه الذي شرع ، فكذلك الجن الذي جاء اسمهم من التستر والاختفاء قد خلقوا لهذه الغاية ، ويرسل سبحانه النذير لكل منهما ، فشرع الله واحد ، وعبادته لا تتغير ، لأنه سبحانه لا يقبل من العمل ، إلا ما كان خالصاً له ، ولا يغفر لمن يشرك به شيئاً ، فيثيب المحسن منهما ، ويجازي العاصي .

ومن انحرف عن هذا المعتقد : من جن وإنس ، فقد أشرك بالله ، وضل عن الطريق السوي ، والجن أقدم من الإنس ، واستدل العلماء بقدمهم ، بتقديمهم في هذه الآية بالذكر ، وهم مثل الإنس : فيهم الشقي وفيهم السعيد ، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر ، لكن لهم عالمهم المختلف عن عالم الإنس ، هيئةً وعملاً ومسكناً ومطعماً وغير ذلك من الصفات ، وقد أنزل الله سبحانه ، سورة في القرآن المجيد باسمهم ، وبعد ما أسلم منهم طائفة ، كانوا يأتون لرسول الله ﷺ ، وحدد لهم مكاناً معيناً ، قيل هو موقع المسجد الذي سمي باسمهم : مسجد الجن ، القريب من ربع الحجون بمكة المكرمة ، ولم نسمع أن لهم أنبياء منهم ، وهذا من كرامة الله للإنس ، ومثلما أن رسول الله ﷺ : بعثه الله إلى الثقلين : الجن والإنس ، فكذلك الجن : يأخذون عن أنبياء الله من الإنس كما نستنتج ذلك من هذه الحكاية : فقد أخرج ابن الجوزي في كتابه : صفة الصفوة عن سهل بن

عبد الله قال : كنت في ناحية ديار عاد ، إذ رأيت مدينة من حجر ، منقورة في وسطها قصر من حجارة ، تأويه الجن ، فدخلت فإذا شيخ عظيم الخلق ، يصلي نحو الكعبة ، وعليه جبة صوف فيها طراوة ، فلم أتعجب من عظم خلقته ، كتعجبي من طراوة جبته .. فسلمت عليه ، فرد علي السلام .

وقال : يا سهل ! إن الأبدان لا تخلق الثياب ، وإنما يخلقها روائح الذنوب ، ومطاعم السحت ، وإن هذه الجبة على منذ سبعمائة سنة ، لقيت بها عيسى ومحمداً عليهما السلام ، فآمنت بهما ، فقلت له : ومن أنت ؟ قال : أنا من الذين نزلت فيهم : ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ قال : كانوا من جن نصيبين .

فهذا يدل على طول أعمارهم ، وعلى نوع لباسهم ، وعلى أنهم يتشكلون في هيئات مختلفة ، وأنهم عالم معنا ، كما أخبر ﷺ بأحاديث كثيرة ، منها : "أن كل واحد من البشر معه قرين من الجن ، فيدعوه إلى الشر ، وقرين من الملائكة فيدعوه إلى الخير" وإنهم لا يرون كما قال سبحانه : ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾ (سورة الأعراف الآية/٢٧) ، وذكر السيوطي في سبب من أسلم من الجن برسول الله ﷺ ، خبراً رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : انطلق النبي ﷺ ، في طائفة من أصحابه ، عامدين إلى عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين ، وبين خبر السماء ، وأرسلت الشهب عليهم ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : ما لكم ؟!

فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب ، فقالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فانظروا ما الذي حال بينكم وبين خبر السماء ؟ فانصرف أولئك الذين ذهبوا إلى تهامة ، وهم من جن نصيبين ، وهم أشراف الجن وسادتهم .

فوجدوا النبي ﷺ ، بوادي نخلة مع أصحابه ، عامدين إلى سوق عكاظ ، وهو يصلي بهم صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا : هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فهنالك رجعوا إلى قومهم ، فقالوا : يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً ۞ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً﴾ (سورة الجن الآيتان/١ – ٢) ، فأنزل الله : ﴿قُلْ أُوحِيَ

﴿إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ ، وإنما أوحي إليه قول الجن [الدر المنثور ٨ – ٢٩٦] .

وجاء في أخبارهم أنهم يتقاتلون فيما بينهم ، ويهجم بعضهم على بعض ، وقد يكون قتلهم جهاداً بين المسلمين منهم مع الكافرين ، كما أخبر ﷺ : أن التسمية وذكر الله يحجبهم عن مشاركة الإنسان : حسب الأدعية التي علمها ﷺ لأمته ، تحول بينهم وبين مشاركة الإنسي : في طعامه وشرابه ، وفي دخول المنزل والمبيت ، ومع أهله ، وغير هذا من الآداب التي علمها عليه الصلاة والسلام لأمته ، ومن لم يفعل : دخلوا معه منزله ، وباتوا في فراشه وشاركوه في كل أموره ، وهم يرونه ولا يراهم ، ولا يطردهم عنه إلا التسمية وذكر الله .

بل يشاركونه في جميع شئونه ، وحتى في السفر معه على راحلة ، لكن لا يؤذي منهم إلا الأشقياء الكفار .

وأخبر ﷺ : أنهم لا يفتحون باباً موصداً ، ولا قربةً قد أوكئت ، ولاماعوناً مغطى ولا أي شيء ذكر اسم الله عليه .. فقد أورد ابن عربي في كتابه : محاضرة الأبرار ، حكاية عن عجيبة بسم الله الرحمن الرحيم ، ذكرها عمرو بن معدي كرب لعمر بن الخطاب ونفر من الصحابة ، وهم يتذاكرون القرآن ، فاستوى عمر وكان جالساً وقال : يا أبا ثور حدثنا بعجيبة بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال : لقد أصابنا في الجاهلية مجاعة شديدة ، فاقتحمت بفرسي البرية ، أطلب شيئاً آكله ، فوجدت شيخاً متكئاً في خباء ، وعنده قطيع من الغنم وجارية كأحسن البشر ، فطمعت فيه فقلت : استأسر ، فنهض وهو يقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم جذبني فإذا أنا تحته وهو فوقي ، فعلها ثلاثاً ، فحلق ناصيتي وأمنني ، وجلست عنده عاماً ، وقال لي يوماً : يا عمرو ! تنطلق معي إلى البرية ، وما بي خوف وإني لواثق ببسم الله الرحمن الرحيم ، فانطلقت معه ، حتى أتي وادياً فهتف بأهله وهم من الجن ، بسم الله الرحمن الرحيم ، فلم يبق طائر في وكر إلا طار ، ثم هتف ثانية فلم يبق سبع في مربضه إلا نهض وفر ، ثم هتف ثالثة فإذا هو بأسود كالنخلة السموق ، وإذا هو لابس شعراً ، فرعبت منه : فقال الشيخ : يا عمرو لا ترع ، فتلا عليه صاحبي : بسم الله الرحمن الرحيم : فاصطرعا فقلت : عليه باللات والعزي ، فلطمني لطمة كاد يقلع

رأسي ، فقلت : لست بعائد ، ثم اصطرعا فقلت : عليه ببسم الله الرحمن الرحيم ، فعلاه الشيخ فبعج بطنه ، كما تبعج الغرس ، ثم شق بطنه وأخرج منه قطعة لحم ، وقال : هذا الكفر .

فقلت : مالك ولهؤلاء القوم ؟. قال : يا عمرو إن الجارية التي رأيت في الخباء هي بنت رجل من الجن ، وكان مؤاخياً لي وكان على دين عيسى عليه السلام ، وهؤلاء قومها يغزوني كل سنة رجل منهم .

فينصرني الله عليه : ببسم الله الرحمن الرحيم ، ثم رجعت معه ، وأخذته نومة تحت شجرة ، فتحينت منه فرصة ، فقتلته بسيفه الذي كان بجانبه عند ما نام ، فأتيت الخيمة ، طمعاً في الجارية والأغنام ، فقالت : يا عمرو ما فعل الشيخ ؟! قلت : قتله الحبشي ، قالت : كذبت قتلته أنت يا غدار ، ثم دخلت الخيمة وجعلت تبكي عليه فدخلت عليها فلم أجدها ، ولم أر بالخيمة أحداً ، كأن الأرض بتلعتها .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : وأنا أقول ظفر بك رجل من المسلمين ، فأنعم عليك ثلاثاً ؛ ووجدته نائماً فقتلته ، والله لو كنت مؤاخذاً لك في الإسلام بما فعلت في الجاهلية ، لقتلتك به [محاضرات الأبرار : ٢٨] ، ومن أخبار الجاهلية أن كل شاعر له صاحب من الجن ، يلقى عليه القصائد : فما لبيد لولا هبيد .

وقد جعل الله القرآن علاجاً من مس الجن ، فيروى عن الإمام أحمد رحمه الله ، أنه عند ما يطلب ليقرأ على من به مس من الجن ، يخلع نعليه ويقرأ ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ (سورة يونس الآية/٥٩) ، فيخرج الجني ، فأراد شخص تقليد الإمام أحمد ، وعمل مثل عمله ، لكن الجن قال : الآية هي الآية ، ولكن الشخص غير الشخص .

من أخبار الجاهلية :

ذكر النويري في نهاية الأرب ، أن هند بنت عتبة ، كانت عند الفاكه بن المغيرة ، وكان من فتيان قريش ، وله بيت الضيافة ، خارجاً من البيوت ، تغشاه الناس من دون إذن ، فخلا البيت ذات يوم ، واضطجع هو وهند فيه : ثم نهض لبعض حاجته : وأقبل رجل فولجه : فلما رآها ولى هارباً .

فأبصره الفاكه ، فأقبل عليها فضربها برجله ، وقال لها : من

الذي خرج من عندك ؟ قلت : ما رأيت أحداً ، ولا انتهبت حتى انبهتني ، فقال لها : ارجعي إلى أبيك .

وتكلم الناس فيها ، فقال لها أبوها : يا بنية إن الناس قد أكثروا فيك ، فأنبيئني نبأك ؟ فإن يكن الرجل صادقاً دسست عليه من يقتله ، فتقطع عنك المقالة ، وإن يك كاذباً حاكمته إلى بعض الكهان ؟

قالت : لا والله ما هو بصادق ، فقال له : يا فاكه ، إنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم ، فحاكمني إلى بعض الكهان ، باليمن – وكانت اليمن مشهورة في الجاهلية بكهانها – .

فخرج الفاكه مع جماعة من بني مخزوم ، وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف ، ومعهم هند و نسوة ، فلما شارفوا البلاد ، وقالوا : غداً نرد على الرجل ، تنكرت حال هند ، فقال لها أبوها : إني أرى ما بك من تنكر الحال ، وما ذاك إلا لمكروه عندك ، فهلا كان هذا قبل أن يشتهر عند الناس مسيرنا ؟ فقالت : لا والله ، ولكني أعرف أنكم تأتون بشراً يخطئ ويصيب ، ولا آمنه أن يمسني منه ميسماً يكون علي سبة .

فقال أبوها : إني سوف أختبره لك ، فصفر لفرسه حتى أدلى ، ثم أدخل في إحليله حبة حنطة ، وأوكأ عليها بسير ، فلما أصبحوا قدموا على الرجل ، فأكرمهم ونحر لهم ، فلما تغدوا قال عتبة : قد جئناك في أمر ، وقد خبأت لك خبيئاً أختبرك به ، فانظر ما هو ؟ فقال : ثمرة في كمرة ، قال : أريد أبين من هذا ؟ قال : حبة بر في إحليل مهر .

ثم قال عتبة : انظر في حال هؤلاء النسوة ، فجعل يدنو من إحداهن ويضرب بيده على كتفها ، ويقول لها : انهضي حتى دنا من هند ، فقال : لها انهضي غير رسحاء ولا زانية ، وسوف تلدين ملكاً اسمه معاوية .

فنهض إليها الفاكه ، فأخذ بيدها ، فجذبت يدها منه ، وقالت : إليك عني ، فو الله لأحرصن أن يكون من غيرك ، فتزوجها أبو سفيان ، فولدت له أمير المؤمنين معاوية ، وهي التي قالت لما أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ : أو تزني الحرة ، مستغربة هذا حتى في الجاهلية [٢ : ١٣١ – ١٣٢] .

❖❖❖

الـــدعوة الإسلامية :

تصحيح مفهوم الدين لله والوطن .. !

بقلم : معالي الدكتور الشيخ راشد عبد الله أحمد الفرحان
(دولة الكويت)

قرأت في بعض الجرائد اليومية مقالات بعنوان (الدين لله والوطن للجميع) وبعنوان آخر : فصل الدين عن الدولة ، وقبل أن أرد على موضوع فصل الدين عن الدولة أود أن أناقش موضوع مقالة بعض الشباب (الوطن للجميع) فأقول : إن هذا العنوان مفهومه خطأ ، يقع فيه كثير من شبابنا هذه الأيام ومع الأسف يجهلون هذا الخطأ بل هذا كفر ، ولا أظن أن من يفكر ذلك من الشباب وغيرهم متعمدون الكفر ، والعياذ بالله ، ولكنه مفهوم خطأ شائع مع الأسف وجاء بحسن نية ، يعبرون به للوصول إلى فصل الدين عن السياسة ، ولولا أن الاستعمال كثر لدى من يكتبون بغير قصد لما كتبت هذا التصحيح .

أقول : إذا كان من يقول ذلك مسلماً عارفاً متعمداً فقد أبدى كفره ، لأنه خالف عقيدته الإسلامية التي أوجبت عليه الإيمان بالقرآن الذي هو كلام الله ، والقرآن يقول ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ و ﴿لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾ وفي آية أخرى (ما) ، و (من) تعني العاقل و (ما) تعني غير العاقل ، ﴿قُلْ لِمَنْ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ ، وهذا المقال لا يتسع لذكر الأدلة من الكتاب والسنة على أن الدين والوطن لله وأن الله هو المالك ، الملك المتصرف في عباده وأرضه ، إن شاء أحياهم وإن شاء أماتهم ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتْ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فالأرض أرض الله ، والناس عباد الله ، هم وما يملكون لله تعالى .

ومما يؤسف له أن هذا المفهوم الخطأ الذي يستشهد به شبابنا اليوم هو من المفاهيم المغلوطة التي تدس علينا من أفكار العلمانيين الملحدين ، وقد استعمله كثيراً مطية لهم قياصرة الروس المستبدين حينما أرادوا البطش بخصومهم المسلمين ، وهدم المساجد وإقفال المدارس والتضييق على الحريات والزج بالمسلمين والمتدينين في السجون ودفعهم بعيداً عن المراكز الهامة في الدولة ، فقالوا : (أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله) فساووا بين الخالق والمخلوق ، يا سبحان الله لا يفرقون بين من يخلق ومن يُخلق ؟ ، وقد قرأت مرة لكاتب من أوربا نسب هذه المقولة لسيدنا عيسى عليه السلام فرددت عليه وبينت له الحق والصواب بأن ذلك كذب على النبي عيسى عليه السلام ، وهو من صنع الحكام والمستبدين في أوربا ضد الكنيسة التي

سيطرت على كل شيء ، وأعطت صكوك الغفران ، وأصدرت قرارات الحرمان ، أما الدين الإسلامي فعلى العكس من ذلك .

فصل الدين عن الدولة :

إذا كنا قد آمنا بالله ربا وبمحمد ﷺ نبياً ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ فيجب أن نتخذ جميع ما جاء في القرآن والسنة ، وألا نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، فجميع ما في الوطن من سياسة واقتصاد واجتماع وقانون كله داخل تحت مرضاة الله وموافقته .

وليعلم القراء الكرام بأن الإسلام قد فاق غيره من المبادئ في العدل والمساواة وحقوق الإنسان والمرأة والاجتماع ، والاقتصاد الذي في التمويل في البنوك والشركات الإسلامية ، وفشل الاقتصاد في أغنى البلدان .

أما بشأن أهل الذمة الأقليات ، فقد قال الرسول ﷺ : (لهم مالنا وعليهم ما علينا) فهل تريد أحسن من ذلك فقد أبقى كنائسهم وبيعهم وصلواتهم ، وقال لهم ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ وهو ما نص عليه دستورنا .

فالذي خلق الإنسان هو الذي أنزل القرآن وهو أعلم به وبمصلحته وشئونه ، لأنه هو ربه الذي خلقه ، ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾ .

أود أن أطمئن الشباب بأن الإسلام بطبعه مدني ودولته مدنية حضارية متقدمة ، فالسياسة معناها رعاية شئون الأمة ، والإسلام يختلف عن غيره من المبادئ والأديان التي نسخها الله بخاتم النبيين محمد ﷺ ، فالإسلام حدد العبادة ووسع المعاملات ، والقاعدة تقول (الأصل في العبادات المنع والحظر ، والأصل في المعاملات الإباحية إلا ما جاء به نص ، وكثيراً ما كان الرسول ﷺ وصحابته يوقفون النص ويقدمون المصلحة العامة عليه لأسباب وعلل خاصة ، فالإسلام دين حي دين دولة فيه نظام المعاملات والعقوبات والتجارة والاقتصاد والأحوال المدنية بل فيه متسع لجميع شئون الحياة ، ولا يقف جامداً ولا حائلاً أمام أية معضلة إلا فتح لها أبواباً ، وباب المصالح والمقاصد والإباحة والضرورة ، وباب درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وغير ذلك من القواعد التي نقلها الغرب عن الإسلام ونسبها لنفسه ، ولا يضر الدين أو يعيبه سوء استعمال مستغل أو انتهازي يتمسح به ، فهو يبقى دين الله الناصح الذي لا يتسع للمفسدين والمنافقين ، والمستبدين ، فالإسلام يعالج المصالح للإنسان من حيث هو إنسان بغض النظر من جنسه ذكر أو أنثى ، ولونه أسود أو أبيض ، ولا إلى دينه أو مذهبه ، (الناس سواسية كأسنان المشط) ولا أود أن أتوسع في الكلام لأنه يطول ، ولكني أقول العبرة في فهم النصوص فهماً صحيحاً والتطبيق السليم العادل لمصلحة الأمة .

الإسلام في اليابان

التاريخ والانتشار والمؤسسات القائمة هناك

(الحلقة الثالثة الأخيرة)

بقلم :الدكتور صالح مهدي السامرائي
رئيس المركز الإسلامي في اليابان
salihsamarrai@hotmail.com

الوجود الإسلامي الحالي :

إن المسلمين في اليابان يابانيون ومقيمون يتواجدون من أقصى جزيرة في شمال اليابان (هوكايدو) إلى أقصى جزيرة صغيرة في جزر أوكيناوا جنوباً قرب تايوان، ومن أقصى الشرق (طوكيو) إلى أقصى الغرب (كانازاوا وشمياني توتوري) ويمكن أن نصنف المسلمين في اليابان في الفئات التالية :

أولاً : المسلمون اليابانيون : وهم موزعون كالآتي :

١- جمعيات خاصة بهم.ومن الأمثلة على ذلك :

أ- جمعية مسلمي اليابان .

إن حصيلة الوجود الإسلامي للمسلمين اليابانيين حتى عام ١٩٥٣ هي جمعية مسلمي اليابان، وهي أول جمعية إسلامية خالصة أسسها مسلمو ما قبل الحرب العالمية الثانية والذين عادوا بعد إسلامهم في إندونيسيا وملايزيا والصين ، وكذلك من بقي حياً من المسلمين الأوائل في اليابان.ولقد سبقتها قبل الحرب جمعيات إسلامية استشرافية. لقد أدت هذه الجمعية ولا تزال دوراً كبيراً في الدعوة الإسلامية ، ويقوم عليها الآن خريجو الأزهر وجامعات المدينة المنورة وأم القرى فهي الجمعية الأم ، ويكاد ينحصر نشاطها في طوكيو ورئيسها الحالي الأستاذ خالد هيكوجي Higuchi أزهري ومن أعضائها يحيى إندو الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة) نور الدين موري (أم القرى في مكة المكرمة) .

ب- الجمعية الإسلامية في هوكايدو (عبد الله أراي) .

ج- جمعية الصداقة الإسلامية في كيوتو (علي كوباياشي) .
د- جمعية الدعوة الإسلامية في أوساكا (عبد الرحيم ياما كوجي) .
هـ- الجمعية الإسلامية في نارا (محمد ناكامورا) .
و- جمعية المرأة المسلمة – أوساكا وكيوتو (الأخت زيبا كومي) .
ز- جمعية الثقافة العربية في طوكيو (الأخت جميلة تاكاهاشي) .

٢- جماعات مندمجة مع جمعيات تضم الطلبة المسلمين والمسلمين الأجانب المقيمين :

إن هذا الصنف منتشر في جميع أنحاء اليابان وأعدادهم كبيرة ، ومن الأمثلة عليهم الأستاذ خالد كيبا (مع المركز الإسلامي وله جمعية خاصة به في طوكوشيما بجزيرة شكوكو) البروفسور عبد الجبار مائدا (الجمعية الإسلامية في ميازاكي – كيوشو) والأخ محمد ساتو (مع الجمعية الإسلامية في سنداي) البروفيسور مرتضى كوراساوا (في جامعة ناغويا وهو أحد مدراء المركز الإسلامي) والى غير ذلك من الشخصيات والأفراد اليابانيين .

٣- أفراد :

الواحد منهم يعادل أمة في نشاطه الإسلامي وهم الأكثرية الساحقة من المسلمين اليابانيين يديرون أكثر من خمس عشرة صفحة إلكترونية باللغة اليابانية ، يدعون فيها الناس للإسلام ومثال عليهم :

- سليمان هاماناكا في جزيرة شكوكو (له صفحة إلكترونية) .
- بروفيسور كوسوجي في جامعة كيوتو، له صولات وجولات في التلفزيون الوطني الرئيسي لليابان NHK وفي قاعات المحاضرات والمؤتمرات .
- بروفسور أونامي (جامعة كيوتو – هندسة) ، يضع ترجمة معاني القرآن الكريم باليابانية على صفحته الإلكترونية .
- بروفيسور شيرو تاناكا (متقاعد من جامعة اللغات الأجنبية في كيوتو وحافظ للقرآن الكريم) .
- بروفيسور هشام كورودا (الجامعة الدولية في نيغاتا وصاحب المؤلفات العديدة وتلميذ العالم الراحل المشهور جعفر إيزيتسو IZITSU .
- الأستاذ أشرف ياسوي (أستاذ اللغة العربية في المعاهد اليابانية).

إن وضع مسلمي اليابان أشبه ما يكون بالعهد المكي ، حينما كان المسلمون الجدد أفراداً متواجدين في مدن وقرى وواحات الجزيرة العربية ، كل يقيم دينه في محل إقامته ، منهم من يخفي إيمانه ومنهم من يظهره ويؤذى بسببه ، ومنهم من يدعو رغم الإيذاء إلى أن أذن الله بالهجرة إلى المدينة المنورة .

ويبرز هنا سؤال : كم هو عدد المسلمين اليابانيين ؟ ونجيب على ذلك بأنه ليس هناك إحصاء لعدد المسلمين اليابانيين ، ففي اليابان أكثر من مائة جمعية وتجمع إسلامي وعشرات إن لم يكن مئات من المساجد والمصليات ويدخل يومياً عن طريق هذه الجمعيات والمساجد والمصليات عدد كبير من اليابانيين الإسلام .

كما يسافر سبعة عشر مليون ياباني سنوياً للسياحة خارج البلاد ، فمنهم من يسلم في البلاد الإسلامية ومنهم من يسلم في أوربا وأمريكا ، حيث تأتي طلباتهم لمركزنا الإسلامي للكتب عن طريق الانترنيت ونستجيب لهم في الحال. (كتبت لنا مسلمة يابانية من كوالالمبور في البريد الإلكتروني أنه يوجد خمسون ياباني ويابانية يرغبون في التعرف على الإسلام وتطلب مدهم بالكتاب الإسلامي باللغة اليابانية) .

نقول أحياناً إن عدد المسلمين اليابانيين يقارب المائة ألف أو يزيدون والأجانب ثلاثمائة ألف أو يزيدون وهذه أرقام تقديرية ينظر إليها المراقبون من زوايا مختلفة ويعطون أرقاماً متعددة ولكنه من المؤكد أن المسلمين اليابانيين يتزايدون وأن الشعب الياباني من أقرب شعوب الأرض للإسلام، يحترمون هذا الدين ويرون فيه تأكيداً لمثلهم وتقاليدهم العريقة .

ثانيا: المسلمون المهاجرون :

١- إن طلائع المسلمين المهاجرين إلى اليابان هم من شبه القارة الهندية قبل الاستقلال ، جاءوا لليابان في أواخر القرن التاسع عشر واشتغلوا بالتجارة وأقاموا في طوكيو ويوكوهاما وكوبي، وهم الذين بنوا أول مسجد دائم في اليابان وذلك في مدينة كوبي عام ١٩٣٥ وصمد هذا المسجد شامخاً رغم قنابل الحرب العالمية الثانية التي حطمت كنيسة مجاورة له ورغم الزلزال الكبير عام ١٩٩٥ الذي هدم الكنيسة المجاورة للمرة الثانية .

٢- أما الدفعة الثانية من المهاجرين فهم المسلمون التتار أو أتراك القازان الذين لجأوا لليابان فراراً من الشيوعية وجاءا في أوائل العشرينيات من القرن الماضي ، وعاشوا مع الهنود في كوبي وضم الجميع مسجدها وأقاموا مسجداً في ناغويا (دمرته الحرب العالمية الثانية) وأقاموا مسجد طوكيو عام ١٩٣٨ قائدهم في العمل المرحوم "عبد الحي قربان علي" ومن بقاياهم حتى الآن الأستاذ تميم دار محيط متعه الله بالصحة والعافية وهو بين الحضور الآن ونستطيع أن نقول إنهم هم أول جالية إسلامية تستقر في اليابان ولقد هاجر شبابهم إلى تركيا وأوربا وأمريكا والقليل منهم موجود الآن في اليابان .

٣- الإندونيسيون والملايزيون هم ثالث جالية ترد اليابان وهم الذين حدث خلاف مذهبي بينهم (وهم على مذهب الإمام الشافعي) وبين التتار وهم (أحناف) مما دفع المرحوم "عبد الحي قربان علي" الإمام التتاري أن يكتب لإمام الحرمين "المعصومي" عن هذا الخلاف فأجابه المعصومي برسالة "هدية السلطان إلى بلاد اليابان" وذلك في الثلاثينيات من القرن العشرين وقد أعيد طبع هذه الرسالة عدة مرات وهي متداولة الآن ولا تزال الجالية الإندونيسية من أكبر الجاليات ولهم مدرسة ومسجد في طوكيو، أدى دوراً كبيراً حين افتقد المسلمون مسجد طوكيو .

٤- أما الهجرة الكبرى فهي التي حدثت منذ الثمانينيات والتي سبق ذكرها وتمثل مختلف الجنسيات والكثير منهم استقر بعد زواجه من اليابانيات .ويوجد اتجاه جديد وهو زواج اليابانيين بعد إسلامهم من المسلمات وأكثرهن من إندونيسيا وملايزيا والفلبين ومن العربيات المسلمات ومن آخر الزيجات زواج ياباني بعد إسلامه من مسلمة روسية .

ثالثا: الطلبة المسلمون القادمون من البلدان الإسلامية :

إن أوائل الطلبة المسلمين هم من المسلمين الصينيين الذين درسوا في جامعة واسيدا عام ١٩٠٩ وعددهم حوالي الأربعين وأصدروا مجلة باللغة الصينية "الاستيقاظ الإسلامي" كما جاء ثلاثة طلاب عثمانيين إلى جامعة واسيدا عام ١٩١١ منهم ابن الرحالة الداعية عبد الرشيد إبراهيم وأثناء الحرب العالمية الثانية جاءت أعداد من الطلبة الإندونيسيين والملايزيين، استشهد منهم عدد في قنبلة هيروشيما ومنهم من شفي من أثر القنبلة وبقي

على قيد الحياة، وقد اجتمعنا بأحدهم قبل سنتين في إندونيسيا. كما درس أبناء التتار المهاجرون في الجامعات والمدارس اليابانية منهم الدكتور التنباي والأستاذ تميم دار محيط وحرمه الدكتورة ثالثة ورمضان صفا وأسعد قربان علي ، متعهم الله جميعاً بالصحة وكانوا أسسوا جمعية خاصة بهم في الأربعينيات من القرن العشرين .

أما الأعداد الكبيرة من الطلبة المسلمين فقد بدأت بعد الحرب العالمية الثانية وفي أواخر الخمسينيات وهي تتزايد حتى يومنا هذا إن أكثرهم من الإندونيسيين ثم الملايزيين ثم من باكستان وبنغلادش ثم العرب والترك والإيرانيون والأفارقة إن هؤلاء مع المسلمين اليابانيين والمسلمين المقيمين شكلوا تجمعات مشتركة في كل مدينة يقيمون مصلى مؤجراً (وبدءوا بإقامة مساجد ثابتة مملوكة) يضم مكتبة وثلاجة لبيع اللحم الحلال إضافة لمكان الصلاة والاجتماعات، وعلى ذكر المصليات كنت دائماً أتأسف وأقول ، كل الأقوام المسلمة من المقيمين في اليابان أقاموا مصليات ومساجد إلا قوم الرسول صلى الله عليه وسلم من العرب، وأخيراً أقام الطلبة العرب وأكثرهم مصريون أقاموا مصلى في منطقة إقامتهم في ضواحي طوكيو (شن ميساتو) Shin Misato وأدى خمسة وعشرون شخصاً منهم ومن الطلبة الآخرين فريضة الحج لعام ١٤٢١ إضافة لأعداد كبيرة من الطلبة من الجنسيات الأخرى حجت هذا العام .

رابعا : المتدربون من البلدان الإسلامية.:

تأتي اليابان أعداد كبيرة من المتدربين من البلدان الإسلامية لفترة من أسابيع إلى سنة وهؤلاء لهم احتياجاتهم من التعرف على الأطعمة الحلال ومواقيت الصلاة كما أن الكثير منهم يتعرضون لأسئلة عن الإسلام وبذلك تأتينا في المركز الإسلامي أسئلة وطلبات بالبريد الإلكتروني والفاكس ننفذها في الحال إن لهؤلاء المتدربين دوراً كبيراً في التعريف بالدين الإسلامي، وإن محض وجودهم كمسلمين يعلم اليابانيين شيئاً عن الإسلام، خصوصاً حينما يتحرى هؤلاء المسلمون العيش ضمن تعاليم الإسلام .

خامسا : التجار والسياح المسلمون :

العلاقات التجارية بين العالم الإسلامي واليابان قديمة ومستمرة

ويؤم اليابان سنوياً عدد من التجار وكذلك السياح ، ولهؤلاء دور في التعريف بالإسلام، إن مركزنا الإسلامي متخصص في الكتاب الإسلامي باللغة اليابانية ويزود كافة الجمعيات الإسلامية في اليابان والطلاب والمتدربين والتجار والسياح وغيرهم بالمادة الإسلامية المقروءة ويزود المتدربين وحديثي القدوم إلى اليابان بالمعلومات اللازمة عن المساجد وأوقات الصلاة والأطعمة الحلال ومراكز تجمع المسلمين .

مداخلة :

وهنا نؤكد مرة أخرى أن الشعب الياباني تتمثل به الأخلاق العالية والصفات الكريمة بل أقول إن الياباني إذا تعرف على الإسلام يجده مطابقاً للمثل التي يعتنقها مجتمعه، فينال استحسانه، وإذا أراد الله له الهداية فإنه يعتنق هذا الدين الذي أعجب به وإننا نرفق وثيقة تظهر الصفات الأصيلة للشعب الياباني التي ورثها عن زعمائه الفرسان (الساموراني) .

يكتب لنا شخص على البريد الإلكتروني إنه درس الإسلام ويريد اعتناقه ، هل عليه أن يتعلم الصلاة قبل النطق بالشهادتين أم يقول الشهادتين ثم يتعلم الصلاة ؟ وهل الختان لازم وإن كان كذلك فهل يجب أن يقوم به طبيب مسلم والا فهو على استعداد لعمله بأي مستشفى مجاور لمكان تواجده ، والأخرى تكتب لنا رسالة إنها درست الإسلام استعدادا لتقديم بحث في جامعتها فأعجبها الإسلام وتريد أن تدعو طلبة جامعتها إلى الإسلام بطريقة علمية وتقول: إني أعرف أن تحريم الخنزير أمر له علاقة بالصحة، أليس هناك أشياء في الإسلام أثبتها العلم حتى أستطيع بها أن أدعو طلبة جامعتي للإسلام ؟ أما محمد داود فقد زار القدس وغزة قبل سنتين فأحب الإسلام فرجع إلى كيوتو واتصل بالأخت الداعية زيبا وتعلم منها الإسلام فاسلم (أقول عن الأخت زيبا كومي إنها تعادل مائة رجل إن لم يكن ألف) أما عثمان فهو طالب في السنة الثانية من الجامعة في مدينة كيوتو، زار تركيا لأسبوع فأحب الإسلام ورجع وقرأ كتب المركز حيث طلبها من الأخت زيبا وأسلم ، وفاطمة ناكاسوني شابة تدرس في "برد فورد" في بريطانيا، كانت مسيحية وصادقت فتاة من أصل باكستاني فأسلمت، وهي تضع النقاب مع أنها في بريطانيا ، هكذا كتبت لنا في بريد إلكتروني ، وأخرى كتبت

من أمريكا تريد معاني القرآن الكريم في اليابانية فأرسلنا لها ما تريد ، وحينما سألناها عن الجالية الإسلامية في منطقتها قالت نحن مائة شخص وأنا المسلمة اليابانية الوحيدة ونريد بناء مسجد، وذكرت لنا أن لها صفحة إلكترونية خاصة بها فإذا هي أستاذة للموسيقى في إحدى الجامعات الأمريكية وتعالج بالموسيقى ، وفكتوريا الروسية كتبت لنا من داخل اليابان تريد بنكاً إسلامياً لإيداع نقودها تحاشياً للربا فأعطيناها عنوان البنك الوطني الباكستاني وتحدثت معنا بالتلفون من مدينة لا تبعد كثيراً عن طوكيو وهي متزوجة من ياباني مسلم، وقلنا لها بعد سبعين سنة من الحكم الشيوعي نرى مسلمة روسية تحرص أن تضع ما تملك في بنك غير ربوي ، هذه معجزة الإسلام وأرسلنا لها ترجمة معاني القرآن الكريم باليابانية ومنشورات المركز ليقرأها زوجها الياباني فشكرتنا على ذلك. أما الرسالة التي كتبتها جارة مسجد طوكيو بعد أن دعاها للإسلام الشيخ نعمة الله في صباح ذات يوم قرب مسجد طوكيو وحينها كان تحت الإنشاء ، وأعطاها نشرة : ما هو الإسلام وعليها البريد الإلكتروني للمركز ، هذه الرسالة فحواها كالآتي :

نشأت وأنا طفلة في بيت مجاور لمسجد طوكيو .

وقد كان منظر قبته الزاهية قبيل غروب الشمس يأخذ بالألباب .

وعندما هدم المسجد انتابني حزن شديد .

وها إن المسجد قد بدأت إعادة بنائه فإنني أشعر بغاية الفرح والسرور .

وقد كتبت السيدة رسالتها على الانترنيت بورق أخضر وهو رمز الجنة عند اليابانيين. ومثل هذا يحدث يومياً لنا في المركز وفي المعهد العربي الإسلامي وفي مسجد طوكيو المركزي ومسجد كوبي ومع الجمعيات الإسلامية كلها .

إن وجود التجمعات الإسلامية العديدة في اليابان يهيئ فرصة للمسلمين الجدد أن يلتفوا حولها ويتعلموا الحياة الإسلامية منها ، إن المركز الإسلامي في اليابان منارة شامخة للإسلام يهتدي بها من يريد أن يعرف شيئاً عن الإسلام ويهتدي بها المسلمون القادمون لليابان ، وموقعنا الإلكتروني

سهل الوصول إليه، فأي إنسان يضغط زراً بسيطاً : إسلام – اليابان ، يصل إليه في الحال وهنا تأتي الأسئلة والطلبات وهنا تأتي الإجابة السريعة ونحن نحتفظ بكل البريد الإلكتروني الذي وصلنا، وإجماع المرسلين يشكروننا على الاستجابة السريعة .

كتب لنا طالب عربي من سيائل غرب الولايات المتحدة يقول : معنا أعداد من الطلبة اليابانيين يريدون التعرف على الإسلام وهو يرجو أن نرسل له كتباً باللغة اليابانية ، وإن طالبة رجعت إلى اليابان وعنوانها كذا ، ويرجو أن نرسل لها كتباً ، فما كان منا إلا أن أسرعنا بإرسال مجموعة من الكتب وترجمة معاني القرآن الكريم له وكذلك للطالبة فكان تعليقه على ذلك إنه من بين مليون مسلم يوجد واحد من أمثالكم، ويشكر تجاوبنا السريع معه ، زد على ذلك أن مركزنا يعتبر من أقدم المؤسسات الإسلامية في اليابان ومعروف لدى الحكومة ووسائل الإعلام والجامعات والمدارس والجماعات الدينية في اليابان ، مما جعله ذا مرجعية دينية في اليابان ونحمد الله العلي القدير أن جعلنا في موضع نتمكن به أن ندعو لدينه القويم والقيام بفرض الكفاية نيابة عن الأمة الإسلامية ، ونشكر كل الذين يقدمون الدعم لنا لتسهيل مهمتنا، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول لسيدنا علي "لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من الدنيا وما فيها أو خير لك من حمر النعم" .

الجيل الثاني مشاكله ومستقبله :

إن أهم مشكلة تواجه المسلمين في اليابان هي أبناء وبنات الجيل الثاني وأكثرهم من الزواج المشترك أجانب مع يابانيات وبالمثل مسلمات أجنبيات مع يابانيين مسلمين وكذلك أبناء المسلمين اليابانيين .

التعليم إجباري وأساسي ، والآن لا توجد مدرسة إسلامية واحدة في اليابان ، ويوجد الآلاف من الأبناء المسلمين ، وما لم نهيئ لهم وسيلة لتعليمهم الإسلام فلا شك أنهم سيذوبون في المجتمع غير الإسلامي ، والذي يحدث أن المسلم الباكستاني أو البنغلادشي يرسل زوجته اليابانية وأولاده إلى بلدانهم للتعلم ، ومع وجود الفروق الاقتصادية والاجتماعية بين اليابان وهذه البلدان فإن مشاكل كثيرة تظهر ، وقد تؤدي إلى هدم الحياة الزوجية ، ولابد من حل جذري لهذه المشكلة .

إن المركز الإسلامي بصدد إقامة أول مدرسة إسلامية في اليابان، وأشترى لذلك أرضاً مجاورة لمسجد طوكيو المركزي ويعتزم إقامة مدرسة عليها ليكسر حاجز التردد في إقامة المدارس الإسلامية عند المسلمين في اليابان، كما كسر حاجز التردد في بناء المساجد في هذا البلد ، إننا إذا اعتنينا بأبناء الجيل الثاني فإن هؤلاء هم الذين سيقدمون الإسلام للشعب الياباني بكفاءة أعلى منا ، فهم يابانيون ولغتهم يابانية وهذان عاملان مهمان ، وإننا نتقدم بالشكر والامتنان لسمو الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود على المساعدة التي قدمتها مؤسسته الخيرية لشراء أرض المدرسة ، والشكر والامتنان كذلك للبنك الإسلامي للتنمية على موافقته لدعم ثلث تكاليف بناء المدرسة .

شكر وامتنان :

وفي الأخير إننا نتقدم بالشكر والامتنان العميقين للمملكة العربية السعودية لما قدمته وتقدمه لرفع شأن الإسلام والمسلمين في اليابان ، إن الكثير من العمل الإسلامي في اليابان هو نبتة مباركة زرعتها المملكة العربية السعودية ، كما أننا نشكر دول الخليج الشقيقة لدعم المسلمين في اليابان وكذلك الدول العربية والإسلامية الأخرى .

وإني بهذه المناسبة أتقدم بالشكر للأساتذة الأكاديميين اليابانيين الذي يهتمون بالثقافة الإسلامية ويحرصون على تقديمها لأبناء قومهم بحياد تام ومن منابعه الأصلية بعيداً عن تأثير الغرب ، ومن روادهم الحاليين على سبيل المثال لا الحصر البروفيسور إيتاجاكي Itagaki والبروفسورة كاتاكورا Katakura والبروفيسور كوماتسو والبروفسوران Sugita اللذان يحملان نفس اللقب في جامعة طوكيو والبروفيسورغوتو Goto وغيرهم كثيرون ، فتحية لهم وشكراً كما نشكر حكومة اليابان لإعطائها الحرية الكاملة للمسلمين في اليابان ورعايتها لهم وحرصها على تعميق التفاهم بين اليابان والعالم الإسلامي ، وفي مقدمتهم معالي وزير الخارجية السيد كونو Kono وكذلك البوليس الياباني بمختلف أشكاله ورتبه هو أول من يحرص على التعاون مع المسلمين أفراداً وجماعات ، ونحيي كذلك الشعب الياباني الصديق الذي ما أن يسمع كلمة "الإسلام" إلا ويتلقى نشراته

وكتبه بكل احترام ويعبر عن ارتياحه لهذا الدين ، إن الدراسات التي تقوم بها الحكومة اليابانية على الأجانب تشير إلى أن المسلمين هم من أهدأ الجاليات وأقلها مشاكل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

صفات الفارس الياباني (الساموراني) :

لقد سجلها في حينه ممثل المركز الإسلامي سعادة الدكتور موسى محمد عمر في ٤ / ٣ / ١٩٧٨ أثناء اجتماع جمعية الشباب المسلم في كانازاوا Kanazawa على بحر اليابان مقابل كوريا ، والجمعية كانت تضم مائة شاب ياباني مسلم من تلاميذ المرحوم مصطفى كمورا ، مساعد المرحوم عمر ميتا في ترجمة معاني القرآن الكريم لليابانية ومؤلف الموسوعة الكبيرة عن تاريخ الإسلام في اليابان ، ودرس بعضهم في المملكة العربية السعودية وباكستان وقطر وهم يتولون الآن مناصب في الجامعات والشركات والأعمال الحرة في جميع أنحاء اليابان وكلنا نحن المسلمين في اليابان مقصرون في الاتصال بهم ، والدكتور موسى كان أحد مدراء المركز وهو الآن كذلك وعمل سفيراً للسودان في اليابان .

- لا ينسى المعروف .
- يبتعد عن الخمر والنساء وكثرة الأكل .
- احترام الوالدين وطاعتهم وعدم إظهار أي امتعاض مهما فعلوا به .
- الساموراني يغسل يديه ورجليه ليلاً وصباحاً وكذلك يأخذ حماماً دافئة ، ويحب المحافظة على نظافة جسمه ومظهره .
- صرف النظر عما لا يعنيه وعدم التحدث عنه أو فيه .
- الاهتمام بالتدريب العسكري .
- يجب عليه عمل الخير وعمل ما هو مقبول والابتعاد عن الخطأ والقبيح .
- يكون أميناً لا خوفاً من أن يكتشف ولا خوفاً من الناس .
- عليه الاهتمام بالدرس والتحصيل والاستفادة من كل أوقاته .
- العيش بعزة وعدم إيذاء الآخرين وعدم العيش عالة عليهم .
- عدم اختيار أصدقاء السوء .

جناح اللؤلؤ

بقلم :الدكتور عبد الحكيم الأنيس
(كبير باحثين أول في دائرة الشئون الإسلامية والعمل الخيري ، بدبي)

أجمل حديث في الدنيا هو الحديث عن الأم .

وما أظن أحداً يعارض في هذا أبداً .

فالأم زينة الحياة ، وسلوة الهموم ، ومفزع الإنسان كلما نالت منه الآلام ، واعترضت طريقه ، المتاعب .

لا يمكن للرجل أن يبكي على صدر زوجته ، ولا أن يظهر ضعفه ، أمامها ، ولكنه لا يتحرج أن ، يرمي برأسه على صدر أمه ، ويبكي ويبثها همه ، ويخرج ما في قلبه من شجن حار .. وهم مقيم ، مهما كان عمره ، ومهما كانت منزلته .

ويمرض الإنسان ، وقد يطول مرضه ، فيمله أقرب الناس إليه ، من زوجة وولد ، إن الأم التي حملته في أحشائها تسعة أشهر ، فإنها تحمل همه مدى الحياة .

عشت مغترباً بعيداً عن بلدي أكثر العمر ، وكنت ألتقي بأمي في بلاد مختلفة ، وسنوات متباعدة ، ولا أنسى أبداً أنني ودعتها مرة في أحد المطارات ، وسرت لأستقل سيارة إلى البلد الذي أقيم فيه ، ولم أكن أدري أنها نسيت نفسها فتبعتني – وأنا لا ألتفت ، حتى لا أرى دموعها – ومشت حتى تاهت ، وضيعت مكان انطلاقها .

الأم هي القلب الذي لا ينبض بغير الحب ، وهي الوفية التي لا تغيرها الأيام ، وهي الصديق ، الذي لا يمكن أن يغدر مطلقاً .

جرب أن تتصل بأمك وتشعر في صوتك أثر ضعف ، أو مرض ، وانظر حتى يكون قلقها عليك ، وانشغالها بك .

أخبرها أنك في ضيق نفسي أو مادي ، حسي أو معنوي ، وانظر ، كيف تضع أمامك كل ما تملك من الدنيا .

الأم معجزة ربانية تدلنا على عظمة الخالق الذي أوجد هذا الكائن ، الذي لا يشبهه شيء أبداً .

ويحدثنا التاريخ أن رجلاً في بغداد ضاقت به الدنيا ، ونال منه الفقر ، وأمضه الجوع ، فخرج يمشي هائماً على وجهه ، وإذا بامرأة من الجيران تناديه وتسأله : ما بالك مغموماً ؟ فأخبرها بحاله ، فقالت له : إن .. أمّك أودعت عندي قبل موتها ثلاث مئة درهم ، وقالت : إذا رأيت ولدي في شدة فادفعيها إليه .

يا الله تحمل هم ولدها حتى بعد موتها .. وتسعفه ، وهي في برزخها .

نعم إنها الأم : الحب والحنان والوفاء والإيثار ، والصدق ، والنبل ، والجمال ، والخير ، والعطاء ، والرجاء ، والغيث .

إنها السماء الزاخرة بالأمل الممدود ، والأزهار الفياضة بالعطر الأخاذ .

وحديث الأم في الإسلام صفحة مشرقة ، فقد جعل لها رسول الله ﷺ ثلاثة أرباع البر ، وأخبر أن .. الجنة عند رجليها :

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك ، فقال : هل لك من أم ؟ قال : نعم ، قال : فالزمها فإن الجنة عند رجليها .

وحين نقرأ القرآن نجد للأم من التكريم والتعظيم ورفعة الشأن ما يثير العجب ، ويبعث على الإعجاب .

انظروا إلى قول الله مخاطباً موسي : ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ وتأملوا في هذا التعبير ... إن قرة عين الأم وعدم حزنها إرادة ربانية عظمى .

ومن الجميل جداً إذا قرأنا القرآن أن نتوقف عند الأمهات لنرى بأنفسنا كيف تحدث الخالق ، عنهن ، وكيف قرن رضاه برضاهن .

ويحدثنا الصحابي الجليل معاذ بن جبل أن الله كلم موسى ثلاثة آلاف وخمس مئة كلمة فكان آخر كلامه : يا رب أوصني ، قال : أوصيك بأمك ، حتى قال له سبع مرات ، ثم قال : يا موسى إلا أن رضاها رضاي ، وسخطها سخطي .

وأدرك أصحاب النبي ﷺ هذه المنزلة فكانوا في البر رموزاً تتلألأ في سماء العرفان .

قال رجل لعمر بن الخطاب : إن لي أما بلغ بها الكبر أنها لا تقضي حاجتها إلا وأنا أحملها على ظهري ، فهل أديت ، حق .. ها ؟

قال : لا ، إنها كانت تصنع بك ذلك وهي تتمنى بقاءك ، وأنت تصنعه وتتمنى فراقها !

وكان أعرابي يطوف بالكعبة وهو يقول :

أحمل أمي وهي الحمّالة ترضعني الدرة والعلالة

فقال عمر : لأن أكون أدركت أمي فصنعت بها ما تصنع بأمك لكان أحب .. إلي من حمر النعم .. أحب إلي من النوق الحمر – وهي أعز مال عند العرب .

وحدثني من حج في الموسم الأخير أن الحجيج ، رأوا رجلاً يحمل ، أمه على كتفيه ويطوف بها فاغرورقت العيون بالدموع تأثراً بهذا المشهد الإنساني النبيل .

أيتها الأم يا مربية الرجال ، وصانعة الأبطال .

أيتها الأم يا مضرب الأمثال ، ومفزع الأجيال .

أيتها الأم يا أنس الجمال ، ونظرة الجلال .

أيتها الأم يا جناحاً ملائكياً ينثر اللؤلؤ في كل رفة من رفاته .

عيشي مكللة بأكاليل الغار .

وفسح الله في حياتك ، لأن رحيلك أشد مصيبة تنزل على القلوب .

هذا أحمد أمين يقول عن أمه : "فقدتها وأنا كبير ، ولي زوجة وأولاد ، ومع هذا أحسست .

بفقدها فراغاً لم يملأه شيء" .

وهذا الشاعر عبد الهادي حرب يقول :

ما عشت بعدك إنما أنا ميت أبكيك يا أماه حتى نلتقي

❖❖❖

الفقـــة الإسلامي :

التجارة في الإسلام

بقلم : الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

لقد زاول النبي صلى الله عليه وسلم، التجارة وقام برحلتين إلى الشام، الأولى عند ما بلغ الثانية عشرة من عمره، اصطحبه عمه أبوطالب، والثانية لتجارة في أموال السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، كما زاول الخليفة الأول في الإسلام، أبوبكر الصديق رضي الله عنه، التجارة واستمر في مزاولتها حتى الأشهر الأولى من الخلافة، وعمر بن الخطاب كان تاجراً يقوت نفسه وأهله من أعماله في التجارة ، وظل كذلك حتى فتحت القادسية ودمشق، وكان عثمان بن عفان من قوم لهم إمارة القوافل التجارية، كما كان للتجارة دور في نشر الإسلام وحضارته، حينما حمل التجار الملاحون رسالة الإسلام إلى أقطار العالم المعروفة حينئذ، ودخلت هذه الأقطار إلى الإسلام بفضل الله، ثم التجار عندما اصطبغوا بصبغة الإسلام وطبقوا أحكامه وحدوده في معاملتهم وأخلاقهم كانو أكبر سبب لنشر الإسلام .....(١) .

وفي القرن الرابع الهجري أخذت تجارة المسلمين المكان الأول في التجارة العالمية، وكانت الإسكندرية وبغداد هما اللتان تقرران الأسعار للعالم في ذلك الوقت، في البضائع الكمالية على الأقل، وانتشرت الجاليات الإسلامية في كل مكان ..... (٢) والإسلام يحض على التجارة، وجعل مرتبة التاجر الصدوق الأمين، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يوم القيامة، قال عليه الصلاة والسلام (عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق) وقال عليه الصلاة والسلام (التاجر الصدوق الأمين المسلم مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة) وقال عليه الصلاة والسلام (ما من جالب يجلب طعاماً من بلد فيبيعه بسعر يومه إلا كانت منزلته عند الله منزلة الشهداء) وقال عليه الصلاة والسلام (رحم الله رجلاً سمحا إذا باع وإذا

(١) الإطار الأخلاقي لمالية المسلم قطب إبراهيم محمد ص ٢٠٥ – ٢٠٨ .

(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام ، تأليف آدم متز ، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة ج ٢ ص ٣٧١ – ٣٧٤ .

اشترى وإذا اقتضى) وقال عليه الصلاة والسلام (البيعان بالخيار حتى يتفرقا فإذا صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما) ..... (٣) والبيع مشروع بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، أما الكتاب فقال تعالى : (وأحل الله البيع وحرم الربا) سورة البقرة / ٢٧٥. وأما السنة فقال عليه الصلاة والسلام : (أفضل الكسب عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور) البيع المبرور هو الذي لا غش فيه ولا خيانة، وقد أجمعت الأمة على جواز البيع والتعامل به من عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى يومنا هذا، وقد شرع الله البيع توسعة منه على عباده، فإن لكل فرد من أفراد النوع الإنساني ضرورات من الغذاء والكساء وغيرهما، مما لا غنى للإنسان عنه ما دام حياً وهو لا يستطيع وحده أن يوفرها لنفسه ولذلك فهو مضطر إلى جلبها من غيره، وليس ثمة طريقة أكمل من المبادلة فيعطي ما عنده ما يمكنه الاستغناء عنه بدل ما يأخذه من غيره مما هو في حاجة إليه، وينعقد البيع بالإيجاب والقبول، ولا بد من أن تتوافر في البيع شروط حتى يقع صحيحا، وهذه الشروط منها ما يتصل بالعاقد ومنها ما يتصل بالمعقود عليه .

شروط العاقد :

فيشترط فيه العقل والتمييز، فلا يصح عقد المجنون ولا السكران ولا الصبي غير المميز ، فإذا كان المجنون يفيق أحياناً كان ما عقده عند الإفاقة صحيحاً وما عقده حال الجنون غير صحيح، والصبي المميز عقده صحيح ويتوقف على إذن الولي فإن أجازه كان معتدا به شرعاً .

ويشترط في المعقود عليه ستة شروط: أ- طهارة العين: قال عليه الصلاة والسلام (إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام) فقيل يا رسول الله: أرأيت شحوم الميتة، فإنه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس، فقال عليه الصلاة والسلام (لا هو حرام). والعلة في تحريم بيع الثلاثة الأولى هي النجاسة عند جمهور العلماء، فيتعدى ذلك إلى كل نجس، واستثنى الأحناف والظاهرية كل ما فيه منفعة، تحل شرعاً، فجوزوا بيعه، فقالوا يجوز بيع الأرواث والأزبال النجسة التي تدعو الضرورة إلى استعمالها في البساتين وينتفع بها وقوداً وسماداً، وكذلك يجوز بيع كل نجس ينتفع به في غير الأكل والشرب وما يدخل الأبدان، كالزيت النجس يستصبح به ويطلى به، والصبغ ليصبغ به، ونحو ذلك مادام الانتفاع به في

(٣) عوامل الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي ، حمزو الجميعي الدموهي ص ٧٥ .

غير الأكل .... (٤) وعلى الرغم من حرمة الخمر ولعن متعاطيها وكل من له بها صلة واعتباره خارجاً عن الإيمان، فعن أنس أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال (لعن في الخمر عشرة : عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشترى له) رواه ابن ماجة والترمذي وقال حديث غريب ..... (٥) .

فإن الإسكندرية العاصمة الثانية لجمهورية مصر كمثال يوجد بها تسعة مصانع خمور منها أربعة مصانع كبرى وخمسة مصانع صغرى يبلغ حجم إنتاج شركة الكروم بمصانعها المختلفة٤٠ مليون جنية سنويا، وتدفع ضرائب سنوية للدولة ١٢ مليون جنيه، ٧٪ من إنتاجها للاستهلاك المحلي والباقي يصدر للكتلة الشرقية، ويبلغ عدد عمالها في الإسكندرية ١٢٠٠ عامل، وقد وافق مجلس الوزراء على تحديث آلات الشركة عام ١٩٨٢ بمبلغ ٢٠ مليون مارك ألماني، أما شركة الأهرام للمشروبات "بيرة الأهرام" تنتج ما قيمته ٧,٥٣١ مليون جنيه منتجات غير كحولية تمثل ٤,٦٪ من إنتاج الشركة، وتدفع الشركة ضرائب للدولة قدرها ٨٠ مليون جنيه سنويا .... (٦) وتدخل المخدرات ضمن الحديث عن المسكرات فإنها هي الأخرى حرام، ففي حديث مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كل مسكر خمر وكل خمر حرام) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن الحشيشة حرام يحد متناولها كما يحد شارب الخمر، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحاديث كثيرة، مؤداها أن ما حرم الله الانتفاع به، يحرم بيعه وأكل ثمنه، قال عليه الصلاة والسلام: (إن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه) ولما كان ثمن هذه المسكرات حراماً فإن الإنفاق منه على القربات كالصدقات والحج غير مقبول ولا يثاب المنفق منه، فقد روى الإمام أحمد في مسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (والذي نفسي بيده لا يكسب عبد مالاً من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده في النار، إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن إن الخبيث لا يمحو الخبيث) وقال عليه الصلاة والسلام (من كسب مالاً حراماً فتصدق به لم يكن له أجر وكان

(٤) فقه السنة السيد سابق ج ٣ ص ٤٦ – ٥٤ .
(٥) فقه السنة السيد سابق ج ٢ ص ٣٦٨ – ٣٩٣ .
(٦) جريدة الشعب العدد ٥٥٧ الثلاثاء ٩/محرم عام ١٤١١هـ الموافق ٣١ يوليو عام ١٩٩٠م .

إصره عليه) وقال عليه الصلاة والسلام: (من أصاب مالاً من مأثم فوصل به رحمه أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله جمع ذلك جميعاً ثم قذف به في نار جهنم) ..... (٧) وطبقا لآخر الإحصائيات الدقيقة لعام ١٩٨٧م فإن نفقات جلب المخدرات إلى مصر خلال هذا العام تجاوزت الثلاث مائة مليون دولار تشمل ثمن المخدرات المجلوبة ، مضاف إليه نفقات النقل، أما الرقم التقديري لما يدفعه المدمنون ثمناً لاستهلاك هذه الكميات من المخدرات طبقاً لأسعار السوق فيصل إلى مليارين ومائتين وخمسة وتسعين مليونا من الجنيهات، وهذه المبالغ في زيادة سنوية .... (٨) وعلى المستوى العالمي فهناك ثلاث مناطق في العالم تتقاسم إنتاج الجانب الأكبر من الأفيون والكوكايين، أولى هذه المناطق الشرق الأوسط لاسيما في أفغانستان وإيران وباكستان وهي دول إسلامية، وهذه المنطقة تسمى بالهلال الذهبي، وكذلك الهند ونيبال وتنتج هذه المنطقة ١٤٠٠ طن من الأفيون تستهلك أغلب هذه الكمية في بلدان المنطقة، ويضاف إلى هذه الكمية ٦٠ طنا من الأفيون المنتج في لبنان في سهل البقاع، أما منطقة الإنتاج الثانية فتقع في جنوب شرق آسيا وتنتج حوالي ١٥٥٠ طنا من الأفيون ، ويطلق على هذه المناطق المثلث الذهبي، المنطقة الثالثة وتقع في أمريكا اللاتينية والتي ذاع صيتها في السنوات الأخيرة، بالإضافة إلى ما ذكرنا فإنه يجب عدم الإغفال عن زراعة القنب الهندي الذي يزرع ويستهلك منه عشرات الآلاف من الأطنان ابتداء من آسيا حتى أمريكا ومرورا بالشرق الأوسط وأفريقيا، وحسب بعض الإحصائيات فإن إجمالي مساحة مزارع المخدرات تبلغ حوالي ٥,١ مليون هتكار، وتتدفق سنويا مئات المليارات من الدولارات إلى السوق العالمي من حصيلة المخدرات منها ١٥٠ مليار دولار في السنة من تجارة الكوكايين فقط .... (٩) وقبل أن نختم حديثنا عن هذه النقطة نذكر نبذة عن السجائر وقد أفتى كثير من العلماء على أنها من الخبائث، ويندرج حكم شربها بين الكراهة والحرمة، والمدخنون في العالم يدفعون ١٠٠ مليار دولار ثمناً للسجائر إضافة إلى ٢ مليار دولار قيمة الترويج لهذه الآفة الخبيثة .... (١٠)

(٧) فقه السنة السيد سابق ج ٢ ص ٣٦٨ – ٣٩٣ .
(٨) مجلة المجلة العدد ٨/٥٤٣ مايو الموافق ١٣/شوال عام ١٤١٠هـ .
(٩) مجلة المنبر العدد ٥٤ أغسطس عام ١٩٩٠م .
(١٠) جريدة المسلمون العدد ٣٢٨ الجمعة ١٩٩١/٥/١٧م الموافق ٣ ذو القعدة عام ١٤١١هـ .

وأظهرت دراسة علمية متخصصة أن عدد المدخنين في مصر وصل إلى ستة ملايين مدخن من كلا الجنسين وأن حجم الإنفاق على منتجات التبغ بلغ نحو مليار و ١٧٥ ألف جنيه، ويبلغ المعدل المتوسط لما تنفقه الأسرة المصرية على التبغ ٥٪ من دخلها في حين يصل ما تنفقه على العلاج ٢,٢ وتخسر الدولة سنويا أكثر من ٢٥ مليون جنيه بسبب التدخين .... (١١) .

ب ـ الانتفاع به: أن يكون منتفعابه، فلا يجوز بيع الحشرات ولا الحية والفارة إلا إذا كان ينتفع بها، ويجوز بيع الهرة والنحل وبيع الفهد والأسد وما يصلح للصيد أو ما ينتفع بجلده، ويجوز بيع الفيل للحمل، ويجوز بيع الببغاء والطاووس والطيور المليحة الصورة، وان كانت لا تؤكل فإن التمتع بأصواتها والنظر إليها غرض مقصود مباح، وإنما لا يجوز بيع الكلب لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وهذا في غير الكلب المعلم وما يجوز اقتناؤه ككلب الحراسة .... (١٢) وإذا كانت الموارد محدودة ويتنافس عليها الإنسان والحيوان، فإن الإنسان أولى بها، وما يفيض عن حاجاته يستفيد به الحيوان، ولكن المشاهد عكس ذلك ففي الوقت الذي يئن فيه الملايين من الجوع والفقر ولا يجدون فرص عمل لهم، أعلنت المجموعة الاقتصادية الأوربية أنها أنفقت هذا العام ما يعادل ٩٥٠ مليون دولار من أجل تقديم أغذية للحيوانات من السلع الغذائية المخصصة للبشر، في إطار مكافحة الفائض الزراعي، وأفادت تقديرات اللجنة الأوربية بأن كميات المنتجات الزراعية المحولة إلى التغذية الحيوانية خلال عام ١٩٤٧م ترتفع إلى ٣,١ مليون طن من الحبوب، و٩,٦ مليون طن من اللبن السائل خالي الدسم، و٣٣٠ ألف طن من الفواكه والخضروات الطازجة، و٥٥ ألف طن من الزبيب ....(١٣) كل هذه الكمية من المواد الغذائية تنفق على حيوانات من رصيد مخصص أصلا لسد الحاجات الغذائية للبشر، حققت مهرة صغيرة حائزة على جائزة الجمال الذهبية الأمريكية أغلى ثمن في معرض الخيول الأصلية ذات العام الواحد الذي أقيم بولاية كنتاكي الأمريكية حيث اشتراها الشيخ حمدان بن راشد المكتوم أحد أفراد الأسرة الحاكمة في دبي بمبلغ ٨٥,١ مليون دولار، ومما يذكر أن عائلة الشيخ المكتوم قد

(١١) مجلة منار الإسلام السنة ال ١٦ العدد الأول محرم عام ١٤١١هـ الموافق ٢٣ يوليو عام ١٩٩٠م .

(١٢) فقه السنة السيد سابق ج ٣ ص ٥٥ – ٥٦ .

(١٣) عوامل الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي حمزة الجميعي الدموهي ص ٢٨٨ .

اشترت ٢٧٪ من الخيول المعروضة مقابل ٨,١٣ مليون دولار .....(١٤) سئلت إحدى الفنانات عن إنفاقها الشهري على قط تمتلكه فأجابت أنه مبلغ ٣٠٠ جنيه .... (١٥) ومن الجدير بالذكر أن هذا المبلغ يعادل مرتب خمسة أفراد من خريجي الجامعة، ومن المعروف في الوسط الفني اهتمامهم باقتناء وتربية الحيوانات النادرة، ولم يعد من الغريب أن تضم قاهرة المعز بين أرجائها مستشفيات ومقابر بل وفنادق للكلاب والقطط بإيجار ٢٠٠ جنية شهريا .... (١٦) بينما البشر يعانون من سكن المقابر والأرصفة وانعدام الرعاية الصحية .

ويدخل تحت باب الانتفاع به بيع آلات الغناء وأدوات اللعب، والغناء الجائز ما كان يقصد به فائدة مباحة حلال ، وسماعه مباح ، وبهذا يكون منفعة شرعية يجوز بيع آلته وشراؤها ، وما يخرج عن ذلك كأن يهيج الشهوة أو يدعو إلى فسق أو ينبه إلى الشر واتُخذ ملهاة عن الطاعات كان ذلك غير حلال .... (١٧) وكذلك اللعب فإن المباح منه ما كان خاليا من التكلم بالفحش والكذب وكشف العورة والاستهزاء بالناس ورقص النساء في حضور الرجال وتضييع الوقت فيما لا ينفع، قال عليه الصلاة والسلام: (سماع الملاهي معصية والجلوس إليها فسق) ويكره عند الحنيفة اللعب بالنرد والشطرنج وضرب الأوتار من الطنبور والرباب والقانون والمزمار والبوق.، والحنابلة قالوا لا يحل شيئ من العود والزمر والطبل والرباب ... (١٨) ونحن أمة جهاد وفي جهاد دائم إلى يوم القيامة ، جهاد مع أعداء الإسلام وجهاد مع النفس البشرية، فإذا أنشأنا في بلادنا معاهد لتعليم الموسيقى والرقص بأنواعه وتخريج الموسيقيين والراقصين وأنشأنا مصانع لإنتاج أدوات الموسيقى ورفعنا من شأن الموسيقيين والراقصين وتقديرهم بم يغري العامة ويفتنهم بها فيتحولون إليها ويبرعون في تقديم جهودهم ومواهبهم لخدمتها متقاعسين متكاسلين متراخين عن جهاد الأعداء فهذا لا يجوز، هذا ولا يغيب عن أحد ما تتكلفه حفلات الغناء وما يتم إنفاقه على الراقصين والموسيقيين في الحفلات والأفراح من مبالغ طائلة وهناك من المسلمين من هو

(١٤) جريدة الأهرام القاهرة ١٩٩٠/٧/٢٥م .

(١٥) مجلة اليمامة العدد ١١١٤ السنة الـ ٤٠ الأربعاء ٣ محرم عام ١٤١١هـ الموافق ١٩٩٠/٧/٢٥م .

(١٦) جريدة الوفد الخميس ٢٠ ذي الحجة عام ١٤١٠هـ الموافق ١٢/يوليو عام ١٩٩٠م .

(١٧) فقه السنة ، السيد سابق ج ٣ ص ٥٦ – ٥٧ .

(١٨) فقه المذاهب الأربعة ، عبد الرحمن الجزيري ج ٢ ص ٤١ – ٤٥ .

أحوج إليها، كما يحرم صنع وبيع التماثيل والصور ويحرم وضعها في البيت ، ومن الواجب كسرها حتى لاتبقي على صورة التمثال، وهذا خاص بالصور المجسدة التي لها ظل، أما الصور التي لا ظل لها كالنقوش في الحوائط وعلى الورق والصور التي توجد في الملابس والصور الفوترغرافية فهذه كلها جائزة وكانت ممنوعة في أول الأمر ثم رخص لها فيما بعد ..... (١٩) أعلن الملياردير الياباني ريوئي سايتو الذي اشترى لوحة رينوار "في طاحونة لأغاليت" التي بيعت بمبلغ ٧٨ مليون دولار، وكان اشترى قبل ذلك لوحة، فان فوخ، الشهيرة "دكتورة غاشية" بمبلغ ٥,٨٢ مليون دولار، وأنه مستعد لشراء لوحات أخرى من هذا النوع .... (٢٠) ألم يعد هذا خروجاً بالمال عن الوظيفة التي حددها الله، وتتمثل في تعمير الأرض، فمهما بلغ تقدير الإنسان لأي شيئ، فإنه لا يجب أن يتجاوز حدود العقل والاعتدال، فهؤلاء الذين يشترون لوحات بملايين الدولارات أو حتى بعشرات أو مئات أو ألوف منها، ألم يكن من الأصوب والأوفق أن يدفعوا هذه المبالغ الطائلة، للذين لا يجدون الطعام، ألم يكن من الأفضل أن يقيموا مصانع تفتح أبواب العمل للعاطلين أو يصلحوا أرضا تعطي خيراتها للناس! إن هؤلاء ومن يرضى عن فعلتهم هذه، وييسر لهم أمرهم هذا، يرتكبون جرائم في حق مجتمعهم، وفي حق إخوانهم في الدين إن كانوا على ملة الإسلام، مقابل النظر إلى لوحات لا تضر ولا تنفع .... (٢١) .

ج- ملكية العاقد له :

أن يكون المتصرف فيه مملوكاً للتعاقد أو مأذونا فيه من جهة المالك، فإن وقع البيع أو الشراء قبل إذنه فإن هذا يعتبرمن تصرفات الفضولي، والفضولي هو الذي يعقد لغيره دون إذنه، كأن يبيع الزوج ما تملكه الزوجة دون إذنها أو يشتري لها ملكا دون إذنها له بالشراء، ومثل أن يبيع إنسان ملكا لغيره وهو غائب أو يشتري دون إذن منه، وعقد الفضولي يعتبر عقداً صحيحاً إلا أن لزومه يتوقف على إجازة المالك أو وليه، فإن أجازه نفذ و إن لم يجزه بطل .

د - أن يكون المعقود عليه مقدوراً على تسليمه شرعاً وحساً: فما لا يقدر

(١٩) فقه السنة ، السيد سابق ج ٣ ص ٤٩٨ – ٥٠٣ .

(٢٠) مجلة العالم العدد ٢/٢٩ يونيو عام ١٩٩٠م الموافق ٨ ذوالقعدة عام ١٤١٠هـ .

(١٩) مجلة لواء الإسلام العدد الرابع السنة الـ ٤٥ ذي الحجة عام ١٤١٠هـ ٢٣ يونيو ١٩٩٠م .

على تسليمه حساً لا يصح بيعه كالسمك في الماء، والجنين في بطن أمه، والطير المنفلت الذي لا يعتاد رجوعه، وكذلك بيع اللبن في الضرع أي قبل انفصاله لما فيه من الضرر والجهالة، وكذلك لايجوز بيع الصوف على ظهر الحيوان فإنه يتعذر تسليمه لاختلاط غير المبيع بالمبيع، أما المعجوز عن تسليمه شرعا فهو كالمرهون والموقوف فلا ينعقد بيعهما.

هـ - أن يكون كل من المبيع والثمن معلوما: فإذا كانا مجهولين أو كان أحدهما مجهولا فإن البيع لا يصح لما فيه من غرر، والعلم بالمبيع يكتفي فيه بالمشاهدة في المعين ولو لم يعلم قدره كما في بيع الجزاف، أما ما كان في الذمة فلا بد من معرفة قدره وصفته بالنسبة للمتعاقدين، والثمن يجب أن يكون معلوم الصفة والقدر والأجل، أما بيع ما غاب عن مجلس العقد وبيع ما في رؤيته مشقة أو ضرر وبيع الجزاف، فلكل واحدة من هذه البيوع أحكام نلخصها فيما يلي: بيع ما غاب عن مجلس التعاقد يجوز بيعه بشرط أن يوصف وصفاً يؤدي إلى العلم به ثم إن ظهر موافقاً للوصف لزم البيع وإن ظهر مخالفاً ثبت لمن لم يره من المتعاقدين الخيار في إمضاء العقد أورده، يستوي في ذلك البائع والمشتري، أما بيع ما في رؤيته مشقة فيجوز بيع المغيبات إذا وصفت أو علمت أوصافها بالعادة والعرف وذلك كالأطعمة المحفوظة والأدوية المعبأة في القوارير وأنابيب الأكسوجين وصفائح البترين والغاز ونحو ذلك مما لا يفتح إلا عند الاستعمال لما يترتب على فتحه من ضرر أو مشقة ويدخل في هذا الباب ما غيبت ثماره في باطن الأرض مثل الجزر واللفت والبطاطس والقلقاس والبصل وماكان من هذا القبيل، أما بيع الجزاف وهو الذي لا يعلم قدره على التفصيل وهذا النوع من البيع كان متعارفاً عليه بين الصحابة على عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام فقد كان المتبايعان يعقدان العقد على سلعة مشاهدة لا يعلم مقدارها إلا بالحزر والتخمين من الخبراء وأهل المعرفة الذين يعهد فيهم صحة التقدير فقلما يخطئون فيه ولو قدر أن ثمة غرراً فإنه يكون يسيراً يتسامح فيه عادة لقلته.

س - أن يكون المبيع مقبوضاً إن كان قد استفاده بمعاوضة .

وقد أمر الله تعالى بالإشهاد على عقد البيع فقال: (وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد) سورة البقرة / ٢٨٢ والأمر بالإشهاد للندب والإرشاد إلى مافيه المصلحة والخير، ويحرم البيع على البيع لما رواه ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يبيع أحدكم على بيع أخيه) رواه أحمد والنسائي، ويجوز البيع بثمن حال كما يجوز بثمن مؤجل، وكما

يجوز أن يكون بعضه معجلا وبعضه مؤخرا متى كان ثمة تراض بين المتابيعين، وإذا كان الثمن مؤجلا وزاد البائع فيه من أجل التأجيل جاز لأن للأجل حصة من الثمن، وإلى هذا ذهب الأحناف والشافعية وزيد بن علي والمؤيد بالله وجمهور الفقهاء لعموم الأدلة القاضية بجوازه ورجحه الشوكاني، جواز السمسرة قال الإمام البخاري: لم ير ابن سيرين وعطاء وإبراهيم والحسن بأجر السمسار بأسا، والسمسار هو الذي يتوسط بين البائع والمشتري لتسهيل عملية البيع، وقال ابن عباس: لا بأس بأن يقول : بع هذا الثوب فما زاد على كذا فهو لك، وقال ابن سيرين إذا قال : بعه بكذا فما كان من ربح فهو لك أو بيني وبينك فلا بأس به، قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (المسلمون على شروطهم) رواه أحمد وأبو داؤد والحاكم عن أبي هريرة.

بيع المكره :

اشترط جمهور الفقهاء أن يكون العاقد مختاراً في بيع متاعه، فإذا أكره على بيع ماله بغير حق، فإن البيع لا ينعقد لقوله تعالى: (إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) سورة النساء / ٢٩ ولقوله عليه الصلاة والسلام: (إنما البيع عن تراض) وقوله (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) أما إذا أكره على بيع ماله بحق فإن البيع يقع صحيحاً، كما إذا أجبر على بيع الدار لتوسعة الطريق أو المسجد أو المقبرة، أو أجبر على بيع سلعة ليفي ما عليه من دين أو لنفقة الزوجة أو الأبوين ففي هذه الحالات وأمثالها يصح البيع إقامة لرضا الشرع مقام رضاه.

بيع المضطر :

قد يضطر الإنسان لبيع ما في يده لدين عليه أو لضرورة من الضروريات المعيشية، فيبيع ما يملكه بأقل من قيمته من أجل الضرورة، فيكون البيع على هذا النحو جائزاً مع الكراهة ولا يفسخ، والذي يشرع في مثل هذه الحالة أن يعان المضطر ويقرض حتى يتحرر من الضيق الذي ألم به.

بيع التلجئة :

إذا خاف إنسان اعتداء ظالم على ماله فتظاهر ببيعه فرارا من هذا الظالم وعقد البيع مستوفيا شروطه وأركانه فإن هذا العقد لا يصح لأن العاقدين لم يقصدا البيع فهما كالهازلين.

بيع الغرر :

الغرر أي الغرور وهو الخداع الذي هو مظنة عدم الرضا به عند

تحققه، فيكون من باب أكل أموال الناس بالباطل، وبيع الغرر هو كل بيع احتوى جهالة أو تضمن مخاطرة أو قماراً وقد نهى عنه الشارع ومنع منه، قال النووي : النهي عن بيع الغرر أصل من أصول الشريعة، يدخل تحته مسائل كثيرة جداً، ويستثنى من بيع الغرر أمران: أحدهما ما يدخل في المبيع تبعا بحيث لو أفرد لم يصح بيعه كبيع أساس البناء تبعا للبناء واللبن في الضرع تبعاً للدابة، والثاني ما يتسامح بمثله عادة إما لحقارته أو للمشقة في تميزه أو تعينه كدخول الحمام بالأجر اختلاف الناس في الزمان ومقدار الماء المستعمل وكالشرب من الماء المحرز وكالجبة المحشوة قطنا.

بيع الثمار والزروع :

بيع الثمار قبل بدو الصلاح وبيع الزرع قبل اشتداد الحب لا يصح مخافة للتلف وحدوث العاهة قبل أخذها، روى البخاري ومسلم عن ابن عمر أن النبي عليه الصلاة والسلام، نهى عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها، نهى البائع والمبتاع، فإن بيعت الثمار قبل بدو الصلاح، والزروع قبل اشتداد الحب، بشرط القطع في الحال، صح إن كان يمكن الانتفاع بها ولم تكن مشاعة، لأنه لا خوف في هذه الحالة من التلف ولا خوف من حدوث العاهة، ويصح بيع الثمار قبل بدو صلاحها لمالك الأرض لإمكانه تركها حتى يبدو صلاحها.

وضع الجوائح :

الجوائح جمع جائحة، وهي الآفة التي تصيب الزروع أو الثمار فتهلكها دون أن يكون لأدمي صنع فيها، مثل القحط والبرد والعطش، وللجوائح حكم يختص بها، فإذا بيعت الثمرة بعد ظهور صلاحها وسلمها البائع للمشتري بالتخلية ثم تلفت بالجائحة قبل أوان الجذاذ فهي من ضمان البائع وليس على المشتري أن يدفع ثمنها، وهذا الحكم في حالة إذا لم يبعها البائع مع أصلها، أو لم يبعها لمالك أصلها، ويؤخر المشتري أخذها عن عادته، ففي هذه الحالات تكون من ضمان المشتري، فإن لم يكن التلف بسبب الجائحة بل كان من عمل الآدمي، فللمشتري الخيار بين الفسخ والرجوع بالثمن على البائع وبين الإمساك ومطالبة المتلف بالقيمة، وذهب جمهور العلماء إلى أن الأمر بوضع الجوائح أمر ندب واستحباب عن طريق المعروف والإحسان لا على سبيل الوجوب والإلزام، وقال مالك: بوضع الثلث فصاعدا ولا يوضع فيما هو أقل من الثلث، قال أصحابه: ومعنى هذا الكلام أن الجائحة إذا كانت دون الثلث كان من مال المشتري وما كان

أكثر من الثلث فهو من مال البائع.

السلم :

ويسمى السلف وهو بيع شيئ موصوف في الذمة بثمن معجل، والفقهاء تسميه بيع المحاويج، لأنه بيع غائب تدعو إليه ضرورة كل واحد من المتبايعين، فإن صاحب رأس المال محتاج إلى أن يشتري السلعة، وصاحب السلعة محتاج إلى ثمنها قبل حصولها عنده، لينفقها على نفسه وعلى زرعه حتى ينضج فهو من المصالح الحاجية، وقد ثبت مشروعيته بالكتاب والسنة والإجماع، فكما يجوز تأجيل الثمن في البيع، يجوز تأجيل المبيع في السلم، من غير تفرقة بينهما، والله سبحانه وتعالى قال" (إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه) سورة البقرة / ٢٨٢ ، والدين هو المؤجل من الأموال المضمونة في الذمة، ومتى كان المبيع موصوفاً ومعلوماً ومضموناً في الذمة، وكان المشتري على ثقة من توفية البائع المبيع عند حلول الأجل، كان المبيع دينا من الديون التي يجوز تأجيلها والتي تشملها الآية، كما قال ابن عباس: ولا يدخل في هذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيع المرء ما ليس عنده كما جاء في قوله لحكيم بن حزام (لا تبع ما ليس عندك) أخرجه أحمد وأصحاب السنن وصححه الترمذي وابن حبان، فإن المقصود من هذا النهي أن يبيع المرء مالا قدرة له على تسليمه، لأن ما لا قدرة له على تسليمه ليس عنده حقيقة فيكون بيعه غرراً ومغامرة، أما بيع الموصوف المضمون في الذمة مع غلبة الظن بإمكان توفيته في وقته فليس من هذا الباب في شيئ.

وأخيرا :

فإن البيع الصحيح ما وافق أمر الشارع باستيفاء أركانه وشروطه، فإذا خالف أمر الشارع لم يكن صحيحاً بل يقع فاسداً باطلاً، فالبيع الفاسد هو البيع الذي لم يشرعه الإسلام وهو لهذا ينعقد ولا يفيد حكما شرعياً ولا يترتب عليه الملك ولو قبض المشتري المبيع لأن المحظور لا يكون طريقاً إلى الملك، قال القرطبي: كل ما كان من حرام بين ففسخ فعلى المبتاع رد السلعة بعينها فإن تلفت بيده رد القيمة فيما له قيمة وذلك كالعقار والعروض والحيوان، والمثل فيما له مثل من موزون أو مكيل من طعام أو عرض، ذهب الأحناف إلى أن المبيع بيعاً فاسداً إذا قبض البائع الثمن وتصرف فيه فربح فعليه فسخ البيع ورد الثمن للمشتري والتصدق بالربح لحصوله له من وجه منهي عنه ومحظور عليه بنص الكتاب....

❖❖❖❖

دراسات وأبحاث :

اسماء مكة والمدينة في اللسان العربي

(الحلقة الثانية)

بقلم الدكتور محمد السيد علي بلاسي ❖

١٢- الحاطمة :

يعلل العلامة السيوطي : سر تسمية مكة المكرمة بـ : "الحاطمة" لحطمها الملحد (١) .

ويقول ابن منظور : الحطيم : حجر مكة مما يلي الميزاب ، سمي بذلك لانحطام الناس عليه ، ويقال : لأنهم كانوا يحلفون عنده في الجاهلية فيحطم الكاذب (٢) .

١٣- الرأس :

ذكر العلامة السيوطي : من أسماء مكة المكرمة : الرأس ، وعلل التسمية بقوله : لأنها أشرف الأرض كرأس الإنسان (٣) .

وفي القاموس المحيط : ورأس الإنسان : جبل بمكة (٤) .

وفي لسان العرب : رأس كل شيئ : أعلاه ، والجمع في القلة أرؤس ، وآراس على القلب ، ورءوس في الكثير ، ولم يقلبوا هذه ، ورءوس : الأخيرة على الحذف (٥) .

١٤- الرتاج :

في أساس البلاغة : جعل ماله في رتاج الكعبة : إذا جعله هدياً إليها (٦) .

❖ أكاديمي – خبير دولي – عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية – عضو اتحاد كتاب مصر – مستشار تحرير مجلة "التقوى" عضو اتحاد المؤرخين العرب – عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين .

(١) الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة ، ص/١٨ .

(٢) لسان العرب : مادة (حطم) .

(٣) الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة ، ص/١٩ .

(٤) القاموس المحيط : ص/٧٠٥ .

(٥) لسان العرب : مادة (رأس) .

(٦) أساس البلاغة : مادة (رتج) .

يقول الفيروز آبادي : والرتج ، محركة : الباب العظيم ، كالرتاج ، ككتاب ، وهو : الباب المغلق ، وعليه باب صغير ، واسم مكة (٧) .

١٥- أم رحم :

ذكر العلامة السيوطي : من أسماء مكة : "أم رحم" – بضم الراء – ؛ لتراحم الناس وتواصلهم فيها ، وذكر بعضهم أم الرحم معرباً (٨) .

ويقول الإمام الزمخشري : رحمته رحمة ومرحمة ورحماً ، وما أقرب رحم فلان إذا كان ذا مرحمة ، ومنزلي في أم رحم : وهي مكة (٩) .

وفي القاموس المحيط : أم رحم ، بالضم ، وأم الرحم : مكة (١٠) .

ويضيف ابن منظور : وفي حديث مكة : هي أم رحم : أي أصل الرحمة (١١) .

١٦- أم زحم :

يقول العلامة السيوطي : "أم زحم" – بالزاء – ؛ من ازدحام الناس فيها (١٢) .

وفي مختصر كتاب العين : الزحم : حين يزدحم بعض القوم قوماً من الزحائم (١٣) .

يقول الفيروزآبادي : والزحم : المزدحمون ، واسم ، وبالضم : مكة ، أو هي أم الزحم (١٤) .

وفي لسان العرب : و زحم : من أسماء مكة ، شرفها الله – تعالى – وحرسها (١٥) .

١٧- المسجد الحرام :

ذكر العلامة السيوطي : من أسماء مكة المكرمة : المسجد الحرام (١٦) .

---

(٧) القاموس المحيط : ص/٢٤٣ .

(٨) الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة ، ص/١٧ .

(٩) أساس البلاغة : مادة (رحم) .

(١٠) القاموس المحيط : ص/١٤٣٦ .

(١١) لسان العرب : مادة (رحم) .

(١٢) الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة ، ص/١٧ .

(١٣) مختصر كتاب العين : ٣٤٦/١ . (١٤) القاموس المحيط : ص/١٤٤٢ .

(١٥) لسان العرب : مادة (زحم) . (١٦) الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة ، ص/١٩ .

وفي لسان العرب : المسجدان : مسجد مكة ومسجد المدينة ، شرفهما الله – عز وجل – (١٧) .

١٨- صلاح :

يقول العلامة السيوطي : ومن أسماء مكة "صلاح" ؛ لأن فيها صلاح الخلق ، أو يعمل فيها الأعمال الصالحة (١٨) .

ويقول الإمام الزمخشري : "وصلاح" من أسماء مكة ، شرفها الله – تعالى – .

قال حرب بن أمية لأبي مطر الحضرمي يوم الفجار :

أبا مطر هلم إلى صلاح فتكفيك الندامى من قريش
وتأمن وسطهم وتعيش فيهم أبا مطر هديت لخير عيش (١٩)

وفي القاموس المحيط : وصلاح ، كقطام ، وقد يصرف : مكة (٢٠) .

يقول ابن منظور : وصلاح وصلاح : من أسماء مكة ، شرّفها الله – تعالى – ، يجوز أن يكون من الصلح ؛ لقوله – عز وجل – : ﴿حَرَماً آمِناً﴾ (سورة العنكبوت الآية/٦٧) ، ويجوز أن يكون الصلاح ، وقد يصرف .

قال ابن بري : وصلاح : اسم علم لمكة (٢١) .

١٩- طيبة :

يقول الفيروز آبادي : وطيبة ، بالكسر : اسم زمزم .. وحلف المطيبين : سموا به ، لما أرادت بنو عبد مناف أخذ ما في أيدي بني عبد الدار من الحجاب والرفادة واللواء والسقاية ، وأبت بنو عبد الدار ؛ عقد كل قوم على أمرهم حلفاً مؤكداً على أن لا يتخاذلوا ، ثم خلطوا أطياباً ، وغمسوا أيديهم فيها ، وتعاقدوا ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم ؛ فسموا : المطيّبين ، وتعاقدت بنو عبد الدار وحلفاؤها حلفاً آخر مؤكداً ؛ فسموا : الأحلاف ،

---

(١٧) لسان العرب : مادة (سجد) .

(١٨) الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة ، ص/١٧ .

(١٩) أساس البلاغة : مادة (صلح) .

(٢٠) القاموس المحيط : ص/٢٩٣ .

(٢١) لسان العرب : مادة (صلح) .

وكان النبي – ﷺ – من المطيّبين (٢٢) .

وذكر العلامة السيوطي : من أسماء مكة المكرمة : طيبة ، وقال : حكاه الزركشي في أحكام المساجد (٢٣) .

٢٠- **العرش والعريش :**

يقول العلامة السيوطي : "العرش" بوزن نزر ، قاله كراع ، وبضمتين قاله البكري ، و "العريش" ذكره ابن سيده ؛ لأن أبياتها عيدان تذهب وتظل ، والأول واحد العروش ، والثاني جمع العرش (٢٤) .

ويقول الخطيب الإسكافي : العرش : السرير ، وما يستظل به ، وقوام الأمر ، وعرشه : جمع .. والعرش : مكة ، والعرش : البيت (٢٥) .

وفي القاموس المحيط : العرش : عرش الله – تعالى – ، ولا يحَدُّ .. ومن البيت : سقفه ، والخيمة ، والبيت الذي يستظل به كالعرش ، والجمع : عروش وعرش وأعراش وعرشة .. ومكة ، أو بيوتها القديمة ، ويفتح ، أو بالفتح : مكة ، كالعريش ، وبالضم : بيوتها ، كالعروش (٢٦) .

ويقول ابن منظور : والعروش والعرش : بيوت مكة ، واحدها عرش وعريش ، وهو منه ؛ لأنها كانت تكون عيدانا تنصب ويظلل عليها .

والعريش والعرش : مكة نفسها كذلك (٢٧) .

٢١- **العطشة :**

في لسان العرب : العطش : ضد الري ، عطش يعطش عطشاً ، وهو عاطش وعطش وعطشان ، والجمع : عطشون وعطشون وعطاش وعطشى وعطاشى وعطاش ، والأنثى عطشة وعطشة وعطشى وعطشانة .. وعطش إلى لقائه أي اشتاق (٢٨) .

---

(٢٢) القاموس المحيط : ص/١٤١ ، ١٤٢ .

(٢٣) الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة ، ص/١٩ .

(٢٤) المصدر السابق ص/١٨ ، ١٩ .

(٢٥) مختصر كتاب العين : ١٣٥/١ .

(٢٦) القاموس المحيط : ص/٧٧٠ .

(٢٧) لسان العرب : مادة (عرش) .

(٢٨) المصدر السابق : مادة (عطش) .

يقول العلامة السيوطي : ومن أسماء مكة المكرمة : العطشة (٢٩) .

٢٢- **المقدسة والقادسة (٣٠) :**

ففي لسان العرب : حكى ابن الأعرابي : .. المقدس : المبارك والأرض المقدسة : المطهرة .. ويقال : ارض مقدسة أي مباركة ، وهو قول قتادة (٣١) .

٢٣- **القادس :**

من التقديس ؛ على حد تعبير السيوطي (٣٢) .

وفي لسان العرب : القادس والقداس : حصاة توضع في الماء قدراً لري الإبل ، وهي نحو المقلة للإنسان ، وقيل : هي حصاة يقسم بها الماء في المفاوز اسم كالحبان .

والقادس : السفينة ، وقيل : السفينة العظيمة ، وقيل : هو صنف من المراكب معروف ، وقيل : لوح من ألواحها .

والقادس ، البيت الحرام (٣٣) .

وذكر الأزرقي في أخبار مكة : أن من أسماء الكعبة : القادس (٣٤) .

٢٤- **أم القرى :**

يقول السمين الحلبي (٣٥) "وأم القرى" : مكة ؛ لأن الأرض دحيت من تحتها ، وقوله تعالى : ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ (سورة الشورى الآية/٧) على حذف مضاف أي أهل أم القرى نحو ﴿وَاسْأَلْ الْقَرْيَةَ﴾ (سورة يوسف الآية/٨٢) .

---

(٢٩) الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة ص/١٩ .

(٣٠) المرجع السابق ص/١٩ .

(٣١) لسان العرب : مادة (قدس) .

(٣٢) الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة ص/١٩ .

(٣٣) لسان العرب : مادة (قدس) .

(٣٤) أخبار مكة : الأزرقي : ١٨٩/١ ، ط. المطبعة الماجدية بمكة ، د. ت. وراجع : التاريخ المفصل للكعبة المشرفة قبل الإسلام : عبد القدوس الأنصاري ، ص/١٧ ، الطبعة الأولى – مطابع الروضة بجدة ، الناشر ، نادي مكة الثقافي الأدبي ، سنة ١٤٠٣هـ .

(٣٥) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ : ١٩٢/١ .

وفي لسان العرب (٣٦) : أم القرى : مكة ، شرفها الله تعالى ؛ لأنها توسطت الأرض – فيما زعموا – ، وقيل : لأنها قبلة جميع الناس يؤمونها ، وقيل : سميت بذلك لأنها كانت أعظم القرى شأناً ، وفي التنزيل العزيز ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً﴾ (سورة القصص الآية/٥٩) .

يقول العلامة السيوطي : ومن أسماء مكة : أم القرى ؛ كأن الأرض دحيت من تحتها .

وقيل : كأن أهل القرى يرجعون إليها في الدين والدنيا حجاً واعتماراً وجواراً (٣٧) .

٢٥- القرية :

يقول الخطيب الإسكافي : والقرية ، والقرى ، وأم القرى : مكة (٣٨) .

ويقول السمين الحلبي عند قول الله – تعالى – ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (سورة الزخرف الآية/٣١) هي مكة والطائف .

ويضيف قائلاً : دخل بعض القضاة على علي بن الحسن – رضي الله عنهما ، وقال أخبرني عن قول الله – تعالى – ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾ (سورة سبأ الآية/١٨) ما تقول فيه علماؤكم ؟ فقال : يقولون : مكة (٣٩) .

وفي القاموس المحيط : القرية ويكسر : المصر الجامع ، والنسبة : قرئي وقروي ، والجمع : قرى ، وأقرى لزمها ، القاري : ساكنها ، لقريتين مثني ، وأكثر يتلفظ به بالياء : مكة والطائف (٤٠) .

وفي لسان العرب (٤١) : يقول ابن سيده القرية والقرية : لغتان المصر

(٣٦) لسان العرب : مادة (أمم) ، ومادة (قرا) .

(٣٧) الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة : ص/١٦ .

(٣٨) مختصر كتاب العين : ٧٣١/٢ .

(٣٩) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ : ٢١١٨/٣ .

(٤٠) القاموس المحيط : ص/١٧٠٦ .

(٤١) لسان العرب : مادة (قرا) .

الجامع وفي التهذيب : المكسورة يمانية ، ومن ثم اجتمعوا في جمعها على القرى فحملوها على لغة من يقول : كسوة وكساً ، وقيل : هي القرية ؛ بفتح القاف لا غير ، قال : وكسر القاف خطأ ، وجمعها قرى ، جاءت نادرة .

يقول ابن السكيت : ما كان من جمع فعلة – بفتح الفاء – معتلاً من الياء والواو على – فعال – كان محدوداً مثل ركوة وركاء ، وشكوة وشكاء وقشوة وقشاء ، قال : ولم يسمع في شيئ من جميع هذا القصر إلا كوة وكوى وقرية وقرى جاءنا على غير قياس .

ويقول الجوهري : القرية معروفة ، والجمع القرى ، على غير قياس .

٢٦- الكعبة :

ذكر العلامة السيوطي من أسماء مكة المكرمة : الكعبة (٤٢) .

يقول الخطيب الإسكافي : والكعبة : البيت الحرام ، والبيت المربع كعبة (٤٣) .

وفي لسان العرب : الكعبة : البيت المربع ، وجمعه : كعاب ، والكعبة : البيت الحرام ؛ منه لتكعيبها ، أي تربيعها ، وقالوا : كعبة البيت فأضيف ؛ لأنهم ذهبوا بكعبته إلى تربّع أعلاه ؛ وسمي كعبة لارتفاعه وتربعه ، وكل بيت مربع فهو عند العرب : كعبة (٤٤) .

٢٧- كوثى :

بضم الكاف وفتح المثلثة ، باسم موضع منها ، وهي "محلة بني عبد الدار" (٤٥) .

يقول الفيروزآبادي : وكوثى ، بالضم .. محلة بمكة لبني عبد الدار (٤٦) .

وفي لسان العرب : كوثى : من أسماء مكة (عن كراع) .. كوث الزرع تكويثاً إذا صار أربع ورقات ، وخمس ورقات ، وهو الكوث .. قال

(٤٢) الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة : ص/١٩ .

(٤٣) مختصر كتاب العين : ١٢٣/١ ، وينظر : القاموس المحيط : ص/١٦٨ .

(٤٤) لسان العرب : مادة (كعب) .

(٤٥) الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة : ص/١٨ .

(٤٦) القاموس المحيط : ص/٢٢٤ .

محمد بن سيرين : سمعت عبيدة يقول سمعت علياً ، عليه السلام ، يقول : من كان سائلاً عن نسبنا ، فإنا نبط من كوثى .

وروي عن ابن الأعرابي أنه قال : سأل رجل علياً ، عليه السلام ، فقال : أخبرني يا أمير المؤمنين ، عن أصلكم ، معاشر قريش فقال : نحن قوم من كوثى ، واختلف الناس في قوله : نحن قوم من كوثى ، فقالت طائفة : أراد كوثى العراق ، وهي سرة السواد التي ولد بها إبراهيم – عليه السلام – وقال آخرون : أراد كوثى ، مكة ، وذلك أن محلة بني عبد الدار يقال لها كوثى فأراد علي : إنا مكيون أميون ، من أم القرى (٤٧) .

٢٨- مكة :

وهو مأخوذ من تمكمكت العظم إذا اجتذبت ما فيه من المخ ، وتمك الفصيل ما في ضرع الناقة ، كأنها تجتذب إلى نفسها ما جاء إليها من الأقوات التي تأتيها في المواسم ، وقيل إنها تمك الذنوب ، أي تذهبها ، وقيل لقلة مائها ، وقيل لما كانت في بطن واد تمكك الماء في جبالها عند نزول المطر ، وتنجذب إليها السيول .

يقول ابن منظور : والمك : الازدحام كالبك ، ومكه يمكه مكاً : أهلكه .

ومكة : معروفة ، البلد الحرام ؛ قيل : سميت بذلك لقلة مائها ، وذلك أنهم كانوا يمتكون الماء فيها ، أي يستخرجونه ، وقيل : سميت مكة لأنها كانت تمك من ظلم فيها وألحد ، أي تهلكه ؛ قال الراجز :

يا مكة الفاجر مكيّ مكاً ولا تمكيّ مذحجاً وعكاً

وقال يعقوب : مكة الحرم كله ، فأما بكة فهو ما بين الجبلين (حكاه في البدل) .

وقال ابن سيده : ولا أدري كيف هذا لأنه قد فرق بين بكة وبين مكة في المعنى ، وبين أن معنى البدل والمبدل منه سواء (٤٨) .

وفي مختصر كتاب العين : مكة : معروفة ، وتمكك المخ تمصصه ، وأخرج مكاكته وسميت مكة لأنها وسط الأرض كالمخ الذي هو أفضل

(٤٧) لسان العرب : مادة (قرا) .

(٤٨) لسان العرب : لابن منظور : مادة (مكك) .

ما في العظم (٤٩) .

يقول السمين الحلبي : قوله تعالى : ﴿ببَطْنِ مَكَّةَ﴾ (سورة فاطر الآية/٤٣) : مكة هذه البلدة الشريفة المعروفة – رزقنا الله تعالى بحرمة نبيه العود إليها ، قيل : واشتقاقها من مك الفصيل ضرع أمه وامتكه إذا شرب ما فيه من اللبن ؛ سميت بذلك لأنها تمك من فيها من الظلمة أي تستأصلهم فلا ترى فيها جباراً إلا أخذ ولا يقصدها سلطان بظلم إلا قصم ، وتمككت العظم أخرجت مخه فعبر عن الاستقصاء بالتمكك (٥٠) .

٢٩- النساسة :

بالنون ومهملتين ؛ لقلة مائها ، كذا قال العلامة السيوطي (٥١) .

ويقول الإمام الزمخشري : نست دابتك : يبست من العطش .

وقيل لمكة : الناسة والنسّاسة ؛ لجدبها ويبسها (٥٢) .

٣٠- الناسة :

بالنون وتشديد المهملة ، من نس الشيئ إذا يبس من العطش ؛ لقلة مائها (٥٣) .

ففي مختصر كتاب العين : نس عطشاً : جفّ (٥٤) .

وفي أساس البلاغة : نسّت دابتك : يبست من العطش ، وقيل لمكة : الناسّة والنسّاسة ؛ لجدبها ويبسها (٥٥) .

ويقول ابن منظور : والنسّ : اليبس ، ونسّ اللحم والخبز ينسّ وينِسّ نوساً ونسيساً : يبس .. وناسّة والناسّة (الأخيرة عن ثعلب) : من أسماء مكة ؛ لقلة مائها (٥٦) .

(يتبع)

(٤٩) مختصر كتاب العين : للخطيب الإسكافي ، تحقيق د. هادي حسن حمودي ، ٧٦٩/٢ .

(٥٠) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، للسمين الحلبي ٢٥١٢/٤ .

(٥١) الحجج المبينة في التفصيل بين مكة والمدينة ، ص/١٧ .

(٥٢) أساس البلاغة : مادة (نسس) .

(٥٣) المصدر السابق : ١٧ .

(٥٤) مختصر كتاب العين : ١٠٠٨/٢ .

(٥٥) أساس البلاغة : مادة (نسس) .

(٥٦) لسان العرب : مادة (نسس) .

الدراية أو نقد المتن عند المحدثين

(الحلقة الثانية)

بقلم :الدكتور محمد شاهجهان الندوي

أستاذ الحديث الشريف وعلومه ، كلية الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية

شانتا برم بتي كاد مالا برم ، كيرالا ، الهند

٢- نقد التفسير :

لا بد من فهم المتن بعد تصحيحه ، ولا يتأتى هذا إلا بتفسيره ، ومن ثم كانت الخطوة الثانية من خطوات نقد المتن ، هي : التفسير ، والتفسير نوعان : تفسير حرفي يقوم على شرح كل كلمة غريبة وردت في المتن شرحاً لغوياً ، ويسمى هذا في المصطلح بشرح الغريب أو معرفته .

ولقد كان سلفنا ، يتثبتون في شرح لفظة غريبة واردة في المتن غاية التثبت ، ويتحرون الدقة فيه ، ويستفاد لهذا الغرض مما كتبه العلماء المسلمون في غريب الحديث ، وغريب القرآن ، كالنضر بن شميل ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى ، والأصمعي ، وابن قتيبة الدينوري ، وبعد تحديد المعنى الحرفي ، لبعض الألفاظ الواردة في المتن ، يحتاج الباحث إلى تحديد المعنى الحقيقي أو الإجمالي ، فإن تحديد المعنى الحرفي ليس إلا فهم جزئيات المتن وألفاظه ، لا فهم المتن جملة ، ولا يتيسر هذا إلا عن طريق الاستنباط الذي يقوم على تحليل مضمون المتن ، لاستخراج ما به من أحكام وقواعد شرعية أو لغوية ، ومعرفة نوع هذه الأحكام .

٣- معرفة الصحيح من الزائف ، وما يصح العمل به ، وما لا يصح العمل به :

وتعد هذه الخطوة الأولى ، أما الخطوتان السابقتان ، فليستا سوى تمهيد لعلمية النقد ؛ لأن النقد العلمي في أدق معانيه يعني "تمييز الصحيح من الزائف" و "معرفة ما يصح العمل به وما لا يصح العمل به" وبناء على هذا ، أرسى المحدثون أصولاً عامة ، وقواعد كلية ، ينقد من خلالها متن الحديث ، دون النظر إلى إسناده ، ولم يكتفوا في نقد المتن بوضع القواعد النظرية فحسب ، بل طبقوا تلك القواعد ، ومارسوا نقد المتن ممارسة عملية .

والقواعد التي وضعها علماء الحديث لنقد متون الأحاديث فيما يأتي :

١- **عرض المتن على القرآن :**

يعرض المتن على القرآن ، فإن وافقه قُبل ، واعتبر صحيحاً ، وإن خالفه طرح و رد ، ولقد استعمل المحدثون هذه القاعدة في رفض كثير من الأخبار الشاذة ، والمنكرة ، والغريبة ، ولو كانت صحيحة الأسانيد ، ومما لا شك فيه أن أي حديث يخالف نصاً قرآنياً ، فهو مردود ، وليس من كلام النبي – ﷺ – ولكن لكي تتحقق هذه المخالفة ، يجب أن لا يحتمل النصان التأويل ، فإن احتمل ذلك أحدهما ، أو كلاهما ، فأمكن الجمع بينهما ، ولا يرد الحديث على أن يكون الجمع مقبولاً ، بعيداً عن التكلف والتعسف .

وأمثلة عرض المتون على القرآن الكريم كما يلي :

١- حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – مرفوعاً : "لا يدخل الجنة ولد الزنا ، ولا شيء من نسله إلى سبعة آباء" (١) فإن هذا الحديث يخالف القرآن الكريم حيث يقول : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (سورة الأنعام الآية/١٦٤) ، فالقرآن الكريم يؤكد المسؤلية الفردية للإنسان عن سعي نفسه ، ولا يحمل ذنبه غيره ، قال تعالى : ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ (سورة الأنعام الآية/١٦٤) ولذا جعله العلماء المسلمون موضوعاً .

٢- يدل حديث فاطمة بنت قيس على أنه لا يجب على زوج المطلقة البائنة أن ينظم النفقة والسكن لها في عدتها ، ولكن الحديث رده سيدنا عمر ، لأنه يخالف الآية من القرآن الكريم : ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ (سورة الطلاق الآية/٦) .

٢- **عرض المتن على الثابت من السنة :**

يعرض الحديث على السنة المتواترة والمشهورة ، فإن وافقهما قُبل ، واعتبر صحيحاً ، وإن خالفهما رد وطرح ، ونزل عن مرتبة الصحيح ، وذلك الأصل في النصوص الشرعية ، ألا تتعارض ، وإذا افترض وجود تعارض بين نصين ، وأمكن الجمع بينهما ، بعيداً عن التأويلات المتكلفة ، بحيث يعمل بكل منهما ، فلا حاجة لرد أي واحد منهما ، والترجيح بينهما ؛ لأن

(١) ابن الجوزي في الموضوعات ٣/١١١ .

الترجيح يعني " إهمال أحدهما ، وتقديم الآخر عليه ، أما إذا كان بينهما اختلاف ، لا يمكن معه الجمع فلا بد من الترجيح .

أمثلة عرض المتون على الثابت من السنة :

١- حديث : "إن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم ، لا بآبائهم" (٢) ، وهو باطل لمخالفته للأحاديث الصحيحة ، فقد روى البخاري خلافه من حديث ابن عمر أن رسول الله – ﷺ – ، قال : "إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة ، فيقال : هذه غدرة فلان ابن فلان" (٣) ففي هذا الحديث رد على من زعم أن الناس لا يدعون يوم القيامة ، إلا بأمهاتهم ، ستراً على آبائهم ، وأخرج ابن عدي عن أنس ، مثل هذا الحديث ، وحكم عليه بالنكارة .

٢- وحديث : "إذا نودي للصلاة ، صلاة الصبح ؛ وأحدكم جنب ، فلا يصم يومئذ (٤) .

ولكن الجمهور تركوه لمخالفته للسنة المشهورة ، فقد روي من أوجه كثيرة عن أم المؤمنين السيدة عائشة – رضي الله عنها – ، وأم المؤمنين السيدة أم سلمة – رضي الله عنها – أن النبي – ﷺ – كان يصبح جنباً من جماع غير احتلام ، ثم يصوم ذلك اليوم" (٥) .

٣- **عرض المتن على الثابت من السيرة النبوية :**

يعرض المتن على الثابت من السيرة ، فإن وافقه قُبل واعتبر صحيحاً وإن خالفه رد ؛ لأن هناك أحداثاً ثبتت صحتها وموافقتها لما جاء في سيرة النبي – ﷺ – فإذا جاءت رواية على أنها من الحديث النبوي ، وخالفت شيئاً ثابتاً في السيرة ، فلا شك أن هذا دليل على عدم صحتها .

---

(٢) أورده القاري في "الأسرار والمرفوعة" ص/٩٩٥ ، وابن حجر في الفتح ، وضعف إسناده ١٠/٥٦٣ .

(٣) أخرجه البخاري في الأدب ، باب ما يدعى الناس بآبائهم ١٠/٦٥٣ .

(٤) أخرجه أحمد رقم/٨١٤٥ ، وقال مخرجوه : إسناد صحيح على شرط الشيخين ، وابن ماجة رقم/١٧٠٢ ، وهذا حديث صحيح الإسناد ، قال البوصيري في الزوائد : هذا إسناد صحيح ، رجاله الثقات .

(٥) أخرجه مالك في الموطا رقم ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤ ، والبخاري رقم/١٩٣١ ، والطحاوي في شرح معاني الآثار رقم/٣٤٥٠ ، وفي مشكل الآثار رقم/٥٣٥ ، ومسلم رقم/١١٠٩ ، وأحمد رقم/٢٤٠٧٤ .

ومثاله : ما روى الترمذي في قصة خروج النبي – ﷺ – إلى الشام ، مع عمه أبي طالب ، أن الراهب الذي لقوه ، نصح بعودة محمد ، وفي آخرها أن أبا طالب رده ، وبعث أبو بكر معه بلالاً" (٦) .

ولا شك أن قوله ، وبعث أبو بكر معه بلالاً ، مخالف للثابت مع السيرة ، وهو أن بلالاً ، اشتراه أبو بكر بعد بعثة النبي – ﷺ – ولما خرج النبي – ﷺ – إلى الشام مع عمه ، كان له من العمر اثنتا عشرة سنة ، ولعل بلالاً ، لم يكن قد ولد بعد ، ولما خرج في المرة الثانية ، كان له قريب من خمس وعشرين سنة ، ولم يكن مع أبي طالب ، وإنما كان مع ميسره .

٤- **عرض المتن على الإجماع :**

يعرض المتن على الإجماع ، فإن وافقه قبل واعتبر صحيحاً ، وإن خالفه رد ، ونزل عن مرتبة الصحيح ، لأن الحديث الذي يخالف الإجماع إما منسوخ ، أو ليس له أصل ، أو هو مؤول ، لأن الحديث الصحيح الثابت غير المنسوخ والمؤول ، لا يمكن أن تتفق الأمة على خلاف ما فيه ، فإذا اتفقت على خلاف ذلك ، فهذا يدل على نسخه أو عدم ثبوته ، فيقدم الإجماع ؛ لأن الإجماع في حكم التواتر فجماعة عن جماعة ، وقرن عن قرن ، خير من واحد عن واحد ، يقول ابن قتيبة : "ونحن نقول إن الحق يثبت عندنا ، بالإجماع أكثر من ثبوته بالرواية ؛ لأن الحديث قد تعترض فيه عوارض ، من السهو والأغفال ، وتدخل عليه الشبه ، والتأويلات والنسخ ، ويأخذه الثقة عن غير الثقة ، وقد يأتي بأمرين مختلفين ، وهما جميعاً جائزان ، وقد يحضر الأمر يأمر به النبي – ﷺ – رجل ، يأمر بخلافه ، وهو لا يحضره ، فينقل إلينا الأمر الأول ، ولا ينقل إلينا الثاني ، والإجماع سليم من هذه الأبواب كلها ، ولذلك كان مالك ، يروي عن رسول الله – ﷺ – الحديث ، ثم يقول : والعمل : ببلدنا على كذا ، لأمر يخالف ذلك الحديث ؛ لأن بلده بلد رسول الله – ﷺ – ، وإذا كان العمل في عصره على أمر من الأمور ، صار العمل في العصر الثاني عليه ، وكذلك في العصر الثالث والرابع ، وما بعده ، ولا يجوز أن يكون الناس جميعاً ، ينقلون عن شيء ، كانوا عليه في

---

(٦) أخرجه الترمذي رقم/٣٦٢٠ .

بلده وعصره إلى غيره ، فقرن عن قرن أكثر من واحد عن واحد ، وقد روى الناس أحاديث متصلة ، ثم تركوا العمل بها" (٧) .

ومثال ذلك :

١- حديث : "من شرب الخمر ، فاجلدوه ، فإن عاد في الرابعة ، فاقتلوه" (٨) فهذا الحديث يخالف الإجماع ، فقد قال الترمذي بعد روايته لهذا الحديث : "وإنما كان هذا في أول الأمر ، ثم نسخ بعد ، هكذا روى محمد بن إسحاق عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبي – ﷺ – قال : "إن من شرب الخمر فاجلدوه ، فإن عاد في الرابعة فاقتلوه" قال : ثم أتي النبي – ﷺ – بعد ذلك برجل ، قد شرب الخمر في الرابعة ، فضربه ، ولم يقتله ، وكذلك روى الزهري عن قبيصة بن ذؤيب عن النبي – ﷺ – : نحو هذا ، قال : فرفع القتل ، وكان رخصة ، والعمل على هذا الحديث عند عامة أهل العلم ، لا نعلم بينهم اختلافاً في ذلك في القديم والحديث" (٩) .

٢- وحديث الطير :

روى الترمذي عن أنس بن مالك قال : "كان عند النبي – ﷺ – طير ، فقال : اللهم ائتني بأحب خلقك إليك ، يأكل معي هذا الطير ، فجاء عليٌّ ، فأكل معه" (١٠) ولا يخفى أن ظاهر هذا الحديث يجعل سيدنا علياً أفضل أمة ، وهو خلاف الإجماع ؛ لأن الصحابة كلهم اتفقوا على أفضلية سيدنا أبي بكر ، وتقديمه على سائر الصحابة ، ولذا تكلم العلماء المحققون في سنده ، كما ذكروا له تأويلاً .

يقول التور بشتي : "هذا الحديث لا يقاوم ما أوجب تقديم أبي بكر والقول بخيريته من الأخبار الصحاح ؛ منضماً إليها إجماع الصحابة ، لكان سنده ، فإن فيه لأهل النقل مقالاً ، ولا يجوز حمل أمثاله على ما يخالف الإجماع ، ولا سيما ، والصحابي الذي يرويه ، ممن دخل في هذا الإجماع

(٧) ابن قتيبة ، تأويل مختلف الحديث" ص/٢٦١ .

(٨) أخرجه الترمذي في الحدود ، رقم الباب/١٥ ، ورقم الحديث ١٤٤٤ .

(٩) سنن الترمذي ٤/٤٨ .

(١٠) أخرجه الترمذي في المناقب ، رقم الباب/٢١ ، ورقم الحديث ٣٧٢١ .

واستقام عليه مدة عمره ، ولم ينقل عنه خلافاً ، فلو ثبت عنه هذا الحديث ، فالسبيل أن يؤول على وجه ، لا ينقض عليه ما اعتقده ، ولا يخالف ما هو أصح منه متناً وإسناداً ، وهو أن يقال : يحمل قوله : "بأحب خلقك" على أن المراد منه : "ائتني بمن هو من أحب خلقك إليك" فيشاركه فيه غيره ، وهم المفضلون بإجماع الأمة ، وهذا مثل قولهم : فلان أعقل الناس وأفضلهم ، أي من أعقلهم وأفضلهم" (١١) .

٥- عرض المتن على محك العقل :

يعرض الحديث على العقل مضموناً ومتناً ، فإن وافق صريح العقل قبل ، واعتبر صحيحاً ، وإن خالفه رفض و رد ؛ لأن الشريعة تبين الممكنات العقلية ، ولا تذكر المستحيلات العقلية ، فالحديث الذي يخالف مخالفة صريحة للموجبات العقلية ، وما يوجبه العقل السليم ، لا يمكن أن يكون صحيحاً .

ولعل من خير الأمثلة على هذا وأصحها ، أنهم كانوا يستدلون أحياناً على معرفة الكذب في الحديث ، من عبارة الراوي ، فالخبر الذي يلوح من متنه مبالغة ، أو تهويل أو خروج عن طبيعة الفكر الإسلامي وروحه ، يُرفض ، والمقصود بالعقل هنا ، العقل المستنير بالكتاب والسنة ، لا العقل المجرد ، وهنا تختلف أنظار المحدثين ، وتتنوع اجتهاداتهم ، فقد يصحح بعضهم حديثاً ، ويرده غيره لمخالفته العقل عنده ، ولكن الذي ينبغي للعقل عدم المجازفة برد الحديث ، لأدني شبهة ، وعدم قبول التأويلات المتكلفة .

أمثلة عرض المتون على محك العقل :

١- أحاديث التسمية بمحمد ، وأنها تنجي من النار ، وتبعد عن الفقر : كحديث : من ولد له مولود ، فسماه محمداً ، تبركاً به ، كان هو والولد في الجنة (١٢) .

وحديث : لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسمي (١٣) ، وحديث : "ما من مسلم دنا من زوجته ، وهو ينوي ، إن حبلت منه أن يسميه محمداً ، إلا رزقه

(١١) المباركفوري ، تحفة الأحوذي ١٠/٢٠٩ ، ط : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤١٩هـ .

(١٢) ابن الجوزي ، الموضوعات ١/١٥٧ .

(١٣) السيوطي ، اللآلي المصنوعة ١/٦٩ .

الله ولداً ذكراً (١٤) .

وهذه الأحاديث كلها مخالفة للعقل ، فنية التسمية بمحمد ، لا علاقة له بكون الجنين ذكراً ، والتسمية به لا ينفي الفقر عن أهل البيت ، فانتفاؤه لا يكون بالسعي في طلب الرزق ، والنجاة من النار لا يضمنها الاسم ، وإنما النجاة منها بالإيمان والعمل الصالح .

٢- حديث : "ولد الزنا شر الثلاثة" (١٥) .

ولكن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – رد هذا الحديث بعد ما وضعه على محك العقل قائلاً : "لو كان شر الثلاثة ، ما استونئي (ما أمهلت) بأمه ، أن ترجم ، حتى تضعه" (١٦) .

٦- انفراد راوٍ واحد برواية حديث يشتمل على أمر وقع بمشهد عظيم :

ومثال ذلك :

حديث : "اللهم إن عبدك علياً ، احتبس نفسه على نبيك ، فرد عليه شرقها ، وفي رواية : اللهم إنه كان في طاعتك ، وطاعة رسولك ، فاردد عليه الشمس ، قالت أسماء ، فرأيتها ، غربت ثم رأيتها طلعت ، بعد ما غربت" (١٧) .

فهذا الحديث باطل ؛ لأنه يبين أن قصة رد الشمس لعلي – رضي الله عنه – وقعت في خيبر في البرية ، قدام العسكر والمسلمون أكثر من ألف وأربعة مائة كان هذا يراه العسكر ويشاهدونه ، ومثل هذا ما تتوفر الهمم والدواعي على نقله ، فيمتنع أن ينفرد الواحد والاثنان ، فلو نقله الصحابة لنقله منهم أهل العلم ، كما نقلوا أمثاله ، فكيف تفردت بنقله امرأة من أهل البيت مجهولة ، لا يعرف حالها .

٧- اشتمال حديث على أمر ، يقتضي تواتراً :

إذا انفرد راو برواية أمر يقتضي أنه من اللازم أن يكون منقولاً

(١٤) ابن قيم الجوزية ، المنار المنيف ص/٦١ .

(١٥) أخرجه أبو داود عن أبي هريرة ٣٩٦٥ ، والنسائي في الكبرى رقم/٤٩٠٩ ، والحاكم في المستدرك رقم/٢٨٥٣ ، وصححه ووافقه الذهبي . (١٦) الإجابة للزركشي ، ص/١٢٠ .

(١٧) أخرجه الإمام الطحاوي في مشكل الآثار رقم/١٠٦٧ ، ١٠٦٨ .

بالتواتر ، فلا يقبل حديثه ، لأنه لا يمكن أن يروي واحد في مثل هذه القضية الهامة ، فالحديث الذي يتعلق بأصول العقائد دون جزئيات وفروعها وتفاصيلها ، أو الحديث الذي يبين أن الكلام الفلاني آية من القرآن ، إذا لم يكن متواتراً ، فلا يقبل وإن صح سنده واتصل ، ولذا لا تعتبر القراءات الشاذة من القرآن الكريم .

٨- مخالفة الوقائع ، والمعلومات التاريخية الثابتة :

إذا اشتمل الحديث على ذكر وقائع تاريخية ، مخالفة لأمر تاريخي ، قد ثبت ثبوتاً جازماً ، كان ذلك دليلاً على أن الحديث مردود ، ومن أمثلة ذلك :

١- حديث وضع الجزية عن أهل خيبر ، وقد بين ابن القيم كذبه من عدة وجوه : أحدها ، أن فيه شهادة سعد بن معاذ ، وسعد توفي قبل ذلك في غزوة الخندق ، ثانيها : أن فيه : "وكتب معاوية أبي سفيان "ومعاوية إنما أسلم زمن الفتح ، ثالثها : أن الجزية لم تكن نزلت حينئذ ، ولا يعرفها الصحابة ولا العرب ، وإنما نزلت بعد عام تبوك (١٨) .

٩- مخالفة الحس :

رويت أحاديث تخالف الواقع المحسوس ، وهذا لا خلاف في عدم ثبوتها ، وليس معنى ذلك أن كل ما يخبر به النبي – ﷺ – ، يجب أن يكون مدركاً بالحواس ، بل أخبر بأمر ، لا تدركه الحواس يجب التسليم به ، أما الإخبار بأمر ، لا تدركه الحواس يجب التسليم به ، أما الإخبار بأمر ، تدرك الحواس خلافه ، فهذا لا يكون .

ومن أمثلة ذلك :

١- حديث أبي هريرة أن رسول الله – ﷺ – قال : "أكذب الناس الصباغون والصواغون" (١٩) قال ابن القيم : الحس يرد هذا الحديث ، فإن الكذب في غيرهم أضعافه فيهم كالرافضة والكهان ، و رد على من أراد أن يؤول الحديث تأويلاً بعيداً متكلفاً ، فقال : وقد تأوله بعضهم على أن

(١٨) المنار المنيف ، ص/١٠٢ – ١٠٥ ، القاري "الأسرار المرفوعة ، ص/١٤٦٥ ، الطرابلسي ، اللؤلؤ الموضوع ، ص/٢٣٦ .

(١٩) المقدسي اللؤلؤ المرصوع ، ص/١٥٢ ، ابن القيم ، المنار المنيف ، ص/٥٢ ، الفتني ص/١٧٠ .

المراد بالصباغ : الذي يزيد في الحديث ألفاظاً تزينه ، والصواغ : الذي يصوغ الحديث ليس له أصل ، وهذا تكلف بارد لتأويل حديث باطل .

١٠- **سماجة الحديث واشتماله علي مجازفات :**

اشتمل كثير من الأحاديث علي مجازفات ، تنادي على وضعها واختلاقها على رسول الله – ﷺ – .

ومثالها :

١- حديث : "من صلي الضحى كذا وكذا ركعة ، أعطي ثواب سبعين نبياً" (٢٠) وكأن هذا الكذاب الخبيث الذي وضعه ، لم يعلم أن غير النبي ، لو صلى عمر نوح – عليه السلام – لم يعط ثواب نبي واحد .

٢- حديث : لا تسبوا الديك ، فإنه صديقي ، وأنا صديقه ، وعدوه عدوي ، والذي بعثني بالحق ، لو يعلم بنو آدم ما في صوته ، لاشتروا ريشه ولحمه بالذهب والفضة ، وإنه ليطرد مدي صوته من الجن" (٢١) .

ولا شك أن ركاكة هذا الحديث وسماجته ، لهو أكبر دليل على أنها ليست من كلام النبي – ﷺ – " .

١١- **مخالفة القواعد العامة في الحكمة والأخلاق :**

وإذا خالف الحديث القواعد العامة الحكمة والأخلاق ، فلا شك أنه لا يصح ، ومثالها :

١- حديث : "ليس لفاسق غيبة" (٢٢) .

لا يمكن أن يكون هذا الحديث صحيحاً ؛ لأن القاعدة العامة في الأخلاق تقول : لا بد من ستر جميع الناس .

١٢- **مخالفة البديهي في الطب :**

وإذا خالف الحديث البديهي في الطب ، فلا يمكن أن يكون صحيحاً ، ومثالها :

١- الباذنجان لما أكل له" (٢٣) قال ابن الجوزي : هذا حديث موضوع

(٢٠) ابن القيم المنار المنيف ص/٥٠ ، القاري ، "الأسرار المرفوعة ، ص/٤٢٤ . (٢١) الفوائد المجموعة ، ص/١٧١ – ١٧٢ . (٢٢) أخرجه الطبراني في الكبير ١٩/٤١٨ ، رقم/١٠١١ وابن عدي في الكامل ٥/٢٢١ . (٢٣) السيوطي الدرر المنتشرة ، ص/٨ .

على رسول الله – ﷺ – فلا سقى الله الغيث قبر من وضعه ؛ لأنه قصد شين الشريعة بنسبة رسول الله – ﷺ – إلى غير مقتضى الحكمة والطب" (٢٤) .

١٣- **مخالفة سنة الله في الكون والإنسان :**

١- كحديث : عوج بن عنق ، وطوله ثلاثة آلاف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعاً (٢٥) .

٢- حديث : "يا معاذ إني مرسلك إلى قوم من أهل كتاب ، فإذا سئلت عن المجرة التي في السماء ، فقل : هي لعاب حية تحت العرش" (٢٦) .

١٤- **كون الرواية داعية إلى رذيلة ، تتبرأ منها الشرائع :**

مثاله :

١- "انظر إلى الوجه الحسن يجلو البصر ، والنظر إلى الوجه القبيح يورث (العبوس) الكلح" (٢٧) فهذا الحديث لا يمكن أن يكون صحيحاً لأنه يدعو إلى رذيلة .

١٥- **كون المتن ناشئاً عن باعث نفسي ، حمل الراوي على روايته :**

مثاله :

١- ما روى عن ابن مسعود ، قال : "كنت عند النبي – ﷺ – ليلة وفد الجن ، قال : فتنفسّ ، فقلت : ما شأنك يا رسول الله ! قال : نعيت إلى نفسي ، يا ابن مسعود ! قلت : فاستخلف ، قال : من ؟ قلت : أبوبكر ، فسكت ثم مضى ساعة ، ثم تنفسّ ، فقلت : ما شأنك بأبي وأمي يا رسول الله – ﷺ – قال : نعيت إلى نفسي ، قال : قلت : فاستخلف ، قال : من ؟ قلت : علي بن أبي طالب ، قال : "والذي نفسي بيده ، لئن أطاعوه ، ليدخلن الجنة أجمعين أكتعين" (٢٨) فهذا حديث موضوع باطل ، وضع عن باعث نفسي ، حمل الراوي على وضعه وروايته ، وهو غلوه في التشيع ، فإن ميناء مولى لعبد الرحمن بن عوف كان غالياً في التشيع .

(يتبع)

(٢٤) ابن الجوزي الموضوعات ٢/٣٠١ . (٢٥) أبو الشيخ ، العظمة ٥/١٥١٩ .
(٢٦) ابن عدي في الكامل ٧/١٢٤ ، والألباني في الضعيفة برقم/٢٨٤ .
(٢٧) المقاصد الحسنة رقم/١٢٥٠ . (٢٨) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير رقم/٩٨٢٧ .

التاريخ الكبير للإمام البخاري

بقلم :الدكتور محمد بي – بي
أمين – جامعة كاليكوت (كيرالا ، الهند)

خلفية تأليف الإمام البخاري :

في أواخر عهد الخلفاء الراشدين ظهرت حلقات القصاص والوعاظ وكثرت فيما بعد في مختلف مساجد الأقطار الإسلامية ، وقد تولى مهمة الوعظ هؤلاء القصاصون الذين كانوا لا يخافون الله ، ولا يهمهم إلا أن يستبكوا الناس في مجالسهم وأن يتواجدوا وأن يعجبوا فيما يقولون ، فوضعوا لهم من الأحاديث ما يرضيهم نفوسهم ويحرك عواطفهم ونسبوها إلى الرسول (ﷺ) كذباً وزوراً وبهتاتاً ، يقول ابن قتيبة مبيناً الوجوه التي دخل منها الفساد على الحديث : "والوجه الثاني القصاص ، فإنهم يميلون وجوه العوام إليهم ومن شأن العوام أن يكثروا من الجلوس عند القصاص كلما كان حدثهم عجباً خارجاً عن نظر العقول أو كان رقيقاً يحزن القلب ، فإذا ذكرت الجنة قال فيها الحوراء من مسك وزعفران ويبوئ الله وليه قصراً من لؤلؤة بيضاء فيها سبعون ألف مقصورة ولا يزال هكذا في سبعين ألفاً لا يتحول عنها .

وكان بعض هؤلاء القصاص يضعون أحاديث ترغب الناس في الإحسان إليهم والعطف عليهم ، ومن ذلك ما رواه ابن الجوزي : "أن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين صليا في مسجد الرصافة فقام بين أيدهم أحد القصاص فقال حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالا حدثنا عبد الرزاق عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله (ﷺ) من قال لا إله إلا الله خلق الله له من كل كلمة طيراً منقاره من ذهب ، وريشه من مرجان .. إلخ ، وأخذ في قصته نحو عشرين ورقة فجعل أحمد بن حنبل ينظر إلى يحيى بن معين ويحيى ينظر إلى أحمد بن حنبل ، وقال أحدهما للآخر : هل حدثت بهذا الحديث فقال والله ما سمعت بهذا إلا الساعة ، فلما فرغ القاص من قصصه وجلس يأخذ العطيات وينتظر بقيتها أشار إليه يحيى بن معين بيده ، أي تعال

فجاء متوهما نوالاً فقال له يحيى من حدثك بهذا الحديث ؟ فقال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فقال أنا يحيى بن معين ، وهذا أحمد بن حنبل ، ما سمعنا بهذا قط إلا الساعة ، فقال له القاص لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق وما تحققت إلا الساعة فقال له يحيى وكيف ذلك فقال له أليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غير كما لقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فوضع أحمد كفه على وجهه وقال له : دعه ليقم فقام كالمستهزئ بهما" (١) .

وما هؤلاء القصاصون من حفظ أسانيد مشهورة ولصق بها بعض الأحاديث الموضوعة بكل وقاحة وصفاقة وجه ، وقد بين أيوب السختياني أثر القصاص في إفساد الحديث فقال ما أفسد على الناس حديثهم إلا القصاص وقال أيضاً : إنهم قالوا أي شيء أرادوا ليبكي الناس ، ومن المؤسف أن هؤلاء القصاص قد وجدوا من العامة آذنا صاغية ولقي العلماء منهم عنتاً كبيراً .

وقد كشف عن أخاديث القصاص رجال العلم وبينوا وضعيها وتتبعهم حتى ميزوا الصحيح من الباطل بل كان رجال الحديث ينهون طلابهم وإخوانهم عن مجالسة القصاص (٢) .

الخلافات الفقهية والكلامية :

لقد كان كثير من الجهال من أتباع المذاهب الفقهية والكلامية يؤيدون مذاهبهم بأحاديث مكذوبة ، فمن ذلك قولهم : من رفع يديه في الركوع فلا صلاة له ، ومن الأحاديث التي وضعها أهل الكلام قولهم : من قال القرآن مخلوق فقد كفر ، وأكثر من روى في هذا المجال القدرية فقد روي أن قدرياً قد تاب ، فقال : لا ترو عن أحد من أهل القدر شيئاً فو الله لقد كنا نضع الأحاديث ندخل بها الناس في القدر نحتسب بها ولقد أدخلت أربعة آلاف من الناس ، قال زهير : فقلت له : فكيف تصنع بمن أدخلتهم ، قال أنا ذا أخرجهم الأول فالأول (٣) .

---

(١) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث : ص/٨٥ . (٢) صحيح مسلم بشرح النووي .

(٣) السنة قبل التدوين ، للأستاذ محمد عجاج الخطيب : ص/٢١٤ .

فقد كان بعض الزهاد يضعون الأحاديث في الترغيب والترهيب ظناً منهم أنهم يتقربون إلى الله ويخدمون دين الإسلام ويحضون الناس على العبادات والطاعات ، أكثرهم كانوا جاهلين بالدين مع أنهم الراغبة في الخير والثواب ، أنكر العلماء عليهم وذكروهم بحديث رسول الله (ﷺ) من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، قالوا جواباً لهذا الإنذار نحن نكذب له (ﷺ) لا عليه ، وهذا بسبب جهلهم بالدين .

ومن الغريب والمؤسف أن ظهورهم بمظهر الصلاح خدع العامة فكانوا يصدقونهم ويثقون بهم فكان خطرهم شديداً على الدين ، بل هم أعظم ضرراً من غيرهم لما عرفوا به في ظاهر أمرهم من الصلاح والورع والزهد الذي لا يتصور معه العامة إقدام مثل هؤلاء على الكذب ، وفي هذا يقول يحيى القطان : "لم تر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث وقال ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير والزهد وقال أبو عاصم النبيل ما رأيت الصالح يكذب في شيء أكثر من الحديث (٤) .

ومن أمثله ما وضعوه في هذا السبيل حديث فضائل القرآن ، فقد اعترف بوضعه نوح بن أبي مريم واعتذر لذلك بأنه رأى الناس أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة وبمغازي ابن إسحاق .

ومن الوضاعين في هذا المجال كثير منهم غلام خليل ، وكان زاهداً متخلياً عن الدنيا وشهواتها ، منقطعاً إلى العبادة والتقوى حتى وثق الناس به وأحبوه حباً شديداً ، حباً جعل بغداد تغلق أسواقها يوم وفاته حزناً عليه ، قيل له : ما هذه الأحاديث التي تحدث بها من الرقائق ، قال : وضعناها لنرقق بها قلوب العامة وكان هؤلاء وأمثالهم لم تكفهم الثروة الضخمة من الأحاديث الصحيحة فوضعوا أحاديث شوهوا بها وجه الإسلام وأدخلوا في تعاليمه ما ليس منها .

وأيضاً ظهر في عهد العباسيين بعض الناس كان لهم التقرب إلى الملوك والرؤساء والأمراء والحكام فهم أخذوا يحدثون بما يوافق أهواءهم ، قد روى الحاكم أن مقاتلاً قال للمهدي : إن شئت وضعت لك أحاديث في

(٤) السنة قبل التدوين ، للأستاذ محمد عجاج الخطيب : ص/٢١٦ .

العباس قال لا حاجة لي فيها ، ومن أمثلة ذلك أيضاً ما وضعه غياث بن إبراهيم حين دخل على المهدي وهو يلعب بالحمام فروى له الحديث المشهور : لا سباق إلا في نصل أو حاضر ، وزاد أو جناح ، إرضاءاً للمهدي فتركها المهدي وأمر بذبحها لكنه أعطاه عشرة آلاف درهم ، وكان عليه كما قال الدكتور مصطفى السباعي : أن يؤدب هذا الكذاب لا أن يمنحه عشرة آلاف درهم .

وأحياناً تكون التعاليم بين العامة سبباً في وضع الأحاديث وذلك حين يظهر جاهل بزي العلماء ويحرص على أن يظهر في أعين الناس عالماً يشار إليه بالبنان فلا يستر جهله إلا بكثرة وضعه الغرائب من الحديث من متن وإسناد ، تلك الغرائب التي تلفت أنظار الناس وتستولي على قلوب العامة في كل جيل .

على أن هناك أسباباً أخرى لوضع الأحاديث كالانتقام من فئة معينة ، والترويج لنوع من الطيب أو النبات ، وقد توسع العلماء في ذكرها وضربوا لها الأمثال ، ومن أمثلة ذلك الهريسة تشد الظهر ، وخير تجارتكم البز ، وخير أعمالكم الخرز ، والناس أكفاء إلا حائك أو حجام ، ومن الوضاعين من جعل الأسانيد المشهورة للحكم القديمة والأقوال المعسولة لكن أكثر ما يوصف الحديث بالوضع حين يكون من اختلاف الوضاع ، وقد يأتي الوضع من الراوي غير مقصود له وليس من باب الموضوع بل هو إلى المدرج أقرب كما في حديث : من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار ، وإنه من كلام شريك لثابت فظن أنه من كلام الرسول (ﷺ) .

تأليف التاريخ الكبير :

بذل العلماء جهوداً جبارة في تنقية أحاديث رسول الله (ﷺ) من كل دخيل عليها حتى إننا لنستطيع أن نجزم بأن علماءنا هم أول من وضع قواعد النقد العلمي الدقيق للأخبار والروايات بين أمم الأرض جميعاً ، والإمام البخاري له مساهمة معتبرة مذهبة في هذا المجال ، وهذه بعض الخطوات التي اتبعها الإمام البخاري لتنقية الأحاديث .

١- إسناد الأحاديث : لم يكن الصحابة في عهد رسول الله (ﷺ) ولا في عهد الخليفتين الأولين من بعده يكذب بعضهم بعضاً ، فظلت الثقة المتبادلة

بينهم تملأ صدروهم حتى وقعت الفتنة في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وظهرت الفرق والأحزاب وأراد كل فريق أن يدعم موقفة بالحديث عن رسول الله (ﷺ) ، وبعد ذلك وقف الصحابة والتابعون وقفه قوية للمحافظة على الحديث الشريف ، فأخذوا يتشددون في طلب الإسناد من الرواة حتى قال قائلهم : السند للخبر كالنسب للمرء .

الإسناد له أهمية كبرى في علم الحديث ونعرف به صحة الحديث وعلته ، قال عبد الله بن مسعود : "الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء من شاء" ، وقال سفيان الثوري : "الإسناد سلاح المؤمن وإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل" ، وفي قول سفيان الثوري أيضاً : "إن الرواة لما استعملوا الكذب في بياناتهم فإننا استعملنا الإسناد والتاريخ ويقول في ذلك : لما استعملوا الكذب استعملنا نحن التاريخ (٥) .

إن أهمية الإسناد في الرواية يتوقف على درجة الراوي والأحاديث المروية عنه ، فإذا كان الراوي ثقة فروايته مقبولة أما إذا كان الراوي موضوع شك أو اتهام في الأحاديث المروية عنه يوشك التهمة أو الوضع ، فالإسناد أمر لا محيص عنه ، ولكن المشكلة لا تكمل في مجرد الرواية بالسند ، سواء أكان الإسناد متصلاً أم منقطعاً ، فعلم الحديث علم الرواية ودراية ، وهو منهج ذو شقين : شق يتعلق بالإسناد ودراسة حال الرواة ، وشق يتعلق بالمتن ودراسة أحواله .

كما نعرف أن لكل شيء آفة وآفة العلم النسيان ، ويمكن أن ينسى رواة الأحاديث رواياتهم ، وأيضاً الكذب والوضع ممكن في الأحاديث النبوية كما أشرنا إليه من قبل ، فلما فشا هذا الكذب والوضع في الحديث النبوي نتيجة للخلافات المذهبية بين الفرق الكلامية واحتدام الصراع بين الشعوبية والعرب ، والتعصب القبلي ، شمر العلماء لحفظ الأحاديث النبوية وتخليصها من الكذب والوضع ، "فاعتنوا بعلم الرجال أتم عناية وأكملها ، حتى جعلوا الإسناد عاليه ونازله كأنه علم الأخلاق التاريخي قد رتبوا فيه الرجال على طبقاتهم ، وأنزلوهم على المراتب المتفاوتة

(٥) جواهر الأصول في علم حديث الرسول ، ص/١٣٤ .

من العدالة والضبط ، ووزنوهم في كفتي التجريح والتعديل" .

وقال الإمام محمد بن سيرين : "لم يكونوا يبالون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيأخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يأخذ حديثهم" وظل التابعون على هذا المنهج وكانوا يصرون على طلب الإسناد حتى قال هشام بن عمرو : إذا حدثك رجل بحديث فقال عمن هذا ؟ وقال الزهري : حين كان يأتي بإسناد الحديث "لا يصلح أن يرقى إلى السطح بدرجة" وشبه بعضهم الحديث بغير الإسناد بالبيت بلا سقف ، والعلم إن فات إسناد لمسنده كالبيت ليس له سقف ولا طنب ، قال الأوزاعي : ما ذهاب العلم إلا ذهاب الإسناد ، وقال النووي : الإسناد سلاح المؤمن فإذا لم يكن له سلاح فبأي شيء يقاتل" وقال ابن مبارك : الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء" وقال أيضاً "بيننا وبين القوم القوائم يعني الإسناد" (٦) وقد ظهر كثير من العلماء والمحدثين في ترتيب أسماء الرجال مثل يحيى بن معين يحيى القطان والإمام البخاري ، ومساهمات الإمام البخاري كثيرة ، مثل التاريخ الكبير والتاريخ الصغير وكتاب الكنى وكتاب الضعفاء ، وهذا ما يدل علي اهتمام كتابة : التاريخ الكبير .

وفي كتابه التاريخ الكبير مثل كتبه الأخرى نحن نجد أحوال الأمم السابقة وأحوال الأشخاص والأمراء وأنسابهم وعاداتهم وخصائصهم وأعمالهم ، والناس يقرأون هذه القصص والأحوال وتكون لهم العبر والنصائح ، وأنهم سيتعلمون دروساً من الحياة الاجتماعية والإنفرادية من تاريخهم ولكن التاريخ في علم الحديث هو تاريخ خاص ومختص بعلم خاص وإن التاريخ في الحديث معناه رواة الإسناد وأخبارهم وقبائلهم ومواليدهم وشيوخهم وأوطانهم وأماكنهم ورحلاتهم وأسفارهم وأحوالهم الشخصية وخصائصهم الذاتية .

ويمكن من هذه الأحوال والوقائع لرجال الحديث أن نعرف الحقائق عنهم ونبحث عنهم وعن شخصياتهم ونحكم عليهم بالصدق أو بالكذب

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي : ج/١ ص/٨٨ – والكفاية في علم الرواية : ص/٤٥ .

ونعرف الأسانيد ، أمتصلة بين الرواة كلهم أم منقطعة عن بعضهم ، إن علم أحوال الرجال علم مشكل جداً ، ولا يمكن لمحدث أن يحكم في صحة الحديث بغير علم أحوال الرواة للحديث ، وإذا كان الإمام البخاري هو أول محدث دوّن التاريخ الكبير في أسماء الرجال ، ثم إنه ألف كتاباً آخر هو التاريخ الأوسط ، ثم إنه ألف كتاب التاريخ الصغير ، وله كتاب آخر في هذا الفن اهتماماً بالجرح والتعديل ، هو كتاب الضعفاء الكبير وكتاب الصغير.

أهمية التاريخ الكبير :

إن الإمام البخاري بدأ تأليف هذا الكتاب في عنفوان شبابه ولكن الجامع الصحيح والتاريخ الكبير هما من روائع مؤلفاته ، حيث اشتهر البخاري في العالم بتأليف هذين الكتابين ، وإنه بدأ كتابه التاريخ الكبير حينما كان عمره ثماني عشرة سنة في المدينة المنورة وهو يقول بنفسه : فلما طعنت في ثماني عشرة سنة صنفت قضايا الصحابة والتابعين ثم صنفت التاريخ الكبير في المدينة عند قبر النبي (ﷺ) في الليالي المقمرة ، وقل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة إلا أني كرهت أن أقول وكان في ذلك الزمان حميد الله بن موسى أميراً على المدينة هو يقول : "إنه كان يصنف هذا الكتاب عند قبر النبي (ﷺ) في الليالي المقمرة".

إن الإمام كان يعرف أهمية كتاب الجامع الصحيح ، وكان قد أنفق عمره وجهده على هذا الكتاب وكان يقول بنفسه في هذا : "لو نشر بعض إسنادي هؤلاء لم يفهم كيف صنفت كتاب التاريخ ولا عرفوه ، ثم قال صنفته ثلاث مرات" ، بدأ الإمام يجمع المواد المنتشرة على الأسماء والتراجم والوقائع في جميع أقطار العالم والبلاد الإسلامية إذ ذاك ، ثم إنه رتب هذه المعلومات على ترتيب حروف الهجاء ثم كتب مرة ثانية في شكل كامل ، فلما كمل هذا الكتاب وجد إعجاباً وقبولاً بين الأوساط العلمية ، وقد نظر العلماء إلى التاريخ الكبير في عصر البخاري بالتقدير والإعجاب حتى إن شيخه الإمام إسحاق بن راهويه لم يتمالك أن قام فدخل به على الأمير عبد الله بن طاهر ، فقال أيها الأمير : ألا أريك سحراً (٧) ، وبعد هذا

(٧) سير أعلام النبلاء للذهبي : ج/٨.

القول وضع أمامه التاريخ الكبير فتعجب الأمير من هذا الكتاب وفصاحته.

وقد اعترف العالم بهذا الكتاب اعترافاً واسعاً ، وقد كتب أبو العباس بن سعد عن التاريخ الكبير : "لو أن رجلاً كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن تاريخ كتاب محمد بن إسماعيل البخاري" ، وقال أبو محمد حاكم الكبير : "إن هذا الكتاب أول كتاب في تاريخ الرجال ، وكل من ألف بعد الإمام البخاري عن الأسماء لا يمكن له عن أن يستغني عن هذا الكتاب ، وبعضهم نسبوا هذا الكتاب إلى أنفسهم مثل أبي زرعة الرازي وأبي حاتم الرازي ومسلم لكن بعضهم أرجعوا الفضل إلى صاحب الكتاب ، هذا صحيح ، لأن هذا الكتاب أول كتاب في العالم في تأليف أسماء الرجال ، وبعد ذلك قد حذا حذوه كثير من العلماء والمحدثين مثل : أبي حاتم الرازي ومسلم والحافظ بن العسقلاني والإمام الذهبي لكن كلهم قلدوا طريقته وأضافوا بعض الأسماء إلى رجال البخاري وبعضهم قد ادّعوا أن هذه الأسماء من جهد أنفسهم وما أعطوا حق الإمام البخاري في أسماء الرجال ، وبعضهم قد اعترف بحق البخاري وأقر أن الإمام البخاري هو الذي قام بهذا الجهد في تأليف أسماء الرجال ، وهكذا أسس تأسيساً ثابتاً لأحاديث رسول الله (ﷺ).

ألف الإمام البخاري ثلاثة كتب في فن أسماء الرجال ، التاريخ الكبير والتاريخ الصغير والتاريخ الأوسط ، وألف كتاباً في الكنى وألف كتاباً عن سنوات الوفيات ، لكن كتابه الكبير هو منبع جميع الكتب في فن أسماء الرجال ، طبع التاريخ الكبير بين سنة ١٣٦٠ وسنة ١٣٧٩ من الهجرة ، من دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد في ثماني مجلدات ، بأجزائه الأربعة ، قام بالتصحيح والتعليق والتحقيق لهذا الكتاب عبد الرحمن بن يحيى المعلم اليماني.

وجمع الإمام البخاري عشرة آلاف رجل في هذا الكتاب وأسماءهم من النبي (ﷺ) وتنتهي على شيوخ البخاري ، وبدأ الكتاب من نسب رسول الله (ﷺ) ثم ذكر المحدثين ثم ذكر أسماء الرجال حسب الحروف الهجائية وقد حاول فيه استيعاب الرواة من الصحابة ومن بعدهم إلى طبقة شيوخه ،

بدأ بالمحمدين تكريماً لاسم الرسول (ﷺ) ووفق إلى حسن المطلع فباركه باسم الرسول (ﷺ) ونسبه ، وقد رتب الأسماء حسب حروف الهجاء وراعى في الحروف الأولى ذكر أسماء الآباء أيضاً ولم يراع في ترتيب الأسماء حروف المعجم فذكر باب إبراهيم ثم باب إسماعيل ثم باب إسحاق ثم باب أيوب ثم باب أشعث ثم ... هكذا ، ويذكر اسم المترجم له وبعض من روى عنهم ويذكر الأسماء المختلفة والكني وقد يذكر حديثاً له وحيناً يذكر جرحاً وتعديلاً ويبين الصحابي بالتنبيه عليه ، أما الرواة إذا كانوا من الضعفاء أو كانوا من غير الثقات فكان يكتب عنهم "فيه نظر" أو "سكتوا عنه" أو "منكر الحديث" ولكنه يتجنب من اللفظ مثل "الكذاب" و "الوضاع" .

ومنهج الإمام البخاري عامة في كتبه وفي كتاب التاريخ الكبير خاصة يستحق الذكر ، قال : "لا أرجو من الله تعالى أن يحاسبني من الغيبة والنميمة" ، ولو أنه ذكر الوضاعين في المصطلحات الحديثية ولكنها ليست بغيبة لأنها في صيانة الأحاديث النبوية وحفظها ، وبذلك يتبيّن منهج البخاري في التاريخ الكبير في الأبواب المختصة .

إن الأئمة اعتنوا بهذا الكتاب فألفوا كثيراً حول هذا الموضوع وأصبح هذا الكتاب كالمتن للذين ألفوا الكتب بعده ، ولهذا الكتاب فوائد كثيرة ، نحصل به على أسماء الرواة وكناهم وأنسابهم وألقابهم وحياتهم الشخصية ، نحن نفهم الاسم الحقيقي للراوي أكان صحابياً أم تابعياً أم تابع تابعي مثلاً في اسم واحد نرى رواة متعددة ومثل ذلك في نفس الاسم لراو ولوالده ونرى ترجمة كثيرة ، وفي قبيلة واحدة يوجد راوٍ ووالده بنفس الاسم وفي مكان واحد يوجد راوٍ ووالده بنفس الاسم وفي هذه الأحوال نستطيع أن نفهم اسم راو حق الفهم ، وفي كل حال هذا الكتاب متن لجميع المحدثين أو لجميع المؤلفين في فن أسماء الرجال والجرح والتعديل ، وأن الإمام البخاري قد أسس فن تراجم الرجال بتأليف كتاب مثل هذا في الجرح والتعديل لأنه هو المنهج الأصيل والمنهج الوحيد والطريقة المنفردة للتمييز بين الغث والثمن من سنة رسول الله ﷺ .

عبد الوهاب البياتي

من رواد الشعر العربي الحديث في العراق

(الحلقة الأولى)

بقلم الدكتور محمد مظهر خالم الندوي
الأستاذ المساعد ، قسم اللغة العربية وآدابها راجوري ، جامو وكشمير

عبد الوهاب البياتي شاعر مجدد يقف في طليعة الشعراء العرب الذين جددوا في روح القصيدة العربية وموسيقاها وموضوعاتها ، ومنحوا الشعر العربي آفاقاً رحبة جديدة ، إن العوالم الشعرية لعبد الوهاب البياتي عوالم واسعة وخصبة ومتشعبة ومبهرة ناتجة عن معاناته الطويلة في المنافي التي أتاحت له الفرصة للتعرف على شعراء كبار من مختلف أنحاء العالم ، وقراءاته المتعمقة للتراث العربي شعراً ونثراً ، الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي وشعر المتصوفة من أمثال ابن الفارض وابن عربي ، وأشعار المتنبي ، والأغاني ، وألف ليلة وليلة ، وكليلة ودمنة ، وللأدب العالمي والشعراء العالميين من أمثال باسترناك وأنا أخماتوفا ويسنين وبول ايلوار ولويس أراغون وفلاديمير مايكوفسكي وبابلو نيرودا وفيدريكو غارسيا لوركا وغيرهم ، التي صقلت تجربته الشعرية ومنحتها بعداً إنسانياً عالمياً ففتحت شعريته المتوهجة آفاقاً واسعة في عالم الشعر الحقيقي المنبعث من آهات المحرومين والمضمخ بدماء الفقراء المقهورين ، ترجمت أشعار هذا الشاعر الكبير إلى مختلف اللغات العالمية الحية وتحتفي بها الأوساط الأدبية على صعيد العالم والمغرب العربي ، ويعتبر أنه قد خَط مساراً جديداً ومؤثراً في عالم القصيدة المعاصرة ، وإن شعره مفعم بالشحنات الإنسانية الصادقة والمدهشة والمؤثرة .

ولد عبد الوهاب البياتي عام ١٩٢٦ في بغداد ، في محلة كانت تضم الفقراء والبسطاء من العمال والباعة والنازحين من الريف ، هي محلة باب الشيخ ، الواقعة بالقرب من ضريح الشيخ عبد القادر الكيلاني ، وهو أحد كبار المتصوفة البغداديين ، وهناك عاش البياتي طفولته وصباه ، وأنهى دراسته الابتدائية والثانوية وفي عام ١٩٤٤م انتقل إلى الدراسة في دار المعلمين

العليا ، ليتخرج فيها عام ١٩٥٠م حائزاً على شهادة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها ، وفي تلك الدار التقى بـ بدر شاكر السياب ، وبعد تخرجه اشتغل مدرساً في المدارس الثانوية في بغداد ، ولكنه سرعان ما فصل من وظيفته .

وغادر البياتي العراق إلى سوريا ، فبيروت التي بقي فيها عاماً وبعض عام ، ثم عاد إلى دمشق ، ومنها سافر إلى القاهرة عام ١٩٥٦م ، ثم عاد إلى دمشق مرة أخرى ليغادرها إلى فينا ، ومن فينا سافر إلى موسكو بدعوة من اتحاد الكتاب السوفيات ، وفي موسكو سمع بقيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م في العراق ، وعاد إلي بغداد ، فأسندت إليه وظيفة مدير التأليف والترجمة والنشر في وزارة المعارف ، وفي عام ١٩٥٩ غادر العراق ليقيم في موسكو حتى عام ١٩٦٤ ، وقد شغل في البداية منصب معاون الملحق الثقافي في السفارة العراقية هناك ، وترك العمل في السفارة عام ١٩٦١م ، وعمل في جامعة موسكو ومعهد شعوب آسيا التابع إلى أكاديمية العلوم السوفيتية ، وأقام البياتي في القاهرة منذ منتصف الستينيات حتى نهايتها ، وعاد إلى بغداد عام ١٩٧٢م ليبقى فيها حتى عام ١٩٧٥م ، وعمل في المركز الثقافي العراقي في أسبانيا خلال سنوات الثمانينيات ، وفي بداية التسعينيات ، عاد البياتي إلى بغداد لكنه لم يلبث أن غادرها من جديد ، مغادرة لا عودة بعدها ، وفي أخريات أيامه ، أقام في دمشق ، حتى وافته منيته هناك ٣ آب ١٩٩٩م ، ودفن في دمشق إلى جانب ضريح محيي الدين بن عربي حسب وصيته (١) ، وترك لنا تراثاً ضخماً تمثل في إصداره خمساً وعشرين مجموعة شعرية ومسرحية شعرية واحدة إضافة إلى كتابين نثريين ، واشتراكه في ترجمة كتابين شعريين .

إن البياتي لم ينطو تحت جناح مدرسة شعرية معينة ، وإنما أفاد من جميع المدارس وإنجازاتها ، واستطاع تكوين شخصيته الشعرية المستقلة البعيدة عن التقليد ، وكان في ذلك مثل فراشة تمتص الرحيق من جميع

(١) الدكتور حمدي السكوت : قاموس الأدب العربي الحديث ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٩م ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، ص/٣٦٠ – ٣٦١ ، وعبد الوهاب البياتي : ينابيع الشمس ، دار الفرقد ، دمشق ١٩٩٩ ، ص/٢٩ – ٥٠

الأزهار دون أن تجبر نفسها على الاهتمام بنوع محدد من الأزهار ، وقد كان شديد الانتباه إلى الإنجازات التي حققتها القصيدة الأوربية ، خاصة على الصعيد الفني ، منذ عصر فرلين ورامبو صعوداً إلى الشعر المعاصر ، ت الطبعة الأولى من ديوانه الثاني الموسوم أباريق مهشمة ضمن منشورات الثقافة الجديدة في بغداد مطلع عام ١٩٥٤م ، وكان نشره يمثل لحظة الانطلاق صدر الحقيقة الأولى لمسيرة عبد الوهاب البياتي الشعرية ، وأما ديوانه الأول "ملائكة وشياطين" فقد صدر عن دار الكشاف في بيروت عام ١٩٥٠م ، وبرغم أن القصائد الأولى التي كتبت بالشعر الحر وعدت بداية لحركة شعرية جديدة ، قد كتبت عام ١٩٤٧م ، فإن ديوان "ملائكة وشياطين" جاء خلواً من هذا النمط الشعري الجديد ، باستثناء محاولة واحدة بسيطة وضعيفة نجدها في قصيدة "لقاء" من هذا الديوان ، وبذلك لم يخض البياتي حلبة المنافسة الشخصية التي خاضها كل من بدر شاكر السياب ونازك الملائكة ، حول من بدأ كتابة الشعر الحر قبل زميله ، فلم يكن للبياتي في ذلك ما يدعيه ، ولكنه خاض والسياب منافسة شخصية من نوع آخر ، دار موضوعها حول من منهما أعلى فناً من زميله ، ومن منهما أصوب في مفهومه للواقعية وأقدر على تجسيدها في شعره ، وبرغم أن هذه المنافسة بدت في الظاهر منافسة فنية اتخذت على صعيد الواقع طابعاً سياسياً صاخباً (٢) .

وكان لظروف كتابة قصائد ديوان "أباريق مهشمة" ونشرها تأثير مباشر فيها وفي شاعرها ، اتسمت المرحلة الممتدة من نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ حتى ١٩٥٨ في العراق بتحولات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ، فعلى المستوى الاقتصادي كان النظام شبه الإقطاعي يؤول إلى التفسخ والانحلال ، وكان الريف في تخلف مريع ، والفلاحون

(٢) يظهر هذا بوضوح من رسائل السياب التي كتبها إلى الدكتور سهيل إدريس رئيس تحرير مجلة "الآداب" اللبنانية خلال الأعوام ١٩٥٤ – ١٩٥٦ ، راجع رسائل السياب ماجد الصالح السامرائي ، ط ٢ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٩٤ ، ص/١٠٥ – ١٢٢ ، ويظهر أيضاً من تعليقات الشاعر كاظم جواد التي نشرت خلال عامي ١٩٥٤ و ١٩٥٥ في المجلة نفسها .

الفقراء في هجرة مستمرة إلى المدن هرباً من جور الإقطاع ، وكانت الشرائح البرجوازية والعمالية في المدن تنمو وتتقدم ، في حين بدأ المجتمع يتخلص من وطأة الظروف المعيشية القاسية التي سادت في أثناء الحرب العالمية الثانية ، ويشهد تغيراً عميقاً في تطلعاته وعاداته ، في الوقت نفسه اتسع نطاق التعليم ونمت قاعدته ، وكثر عدد المبعوثين للدراسة في الخارج والعائدين بشهاداتهم العالية ومعارفهم الجديدة ، وتعالت الأصوات المطالبة بتأسيس جامعة عراقية ، وأخذت السوق العراقية تستقبل أعداداً متزايدة من الكتب والصحف والمجلات العربية والأجنبية ، واتسع نطاق السفر إلى خارج العراق والاحتكاك بالعالم الخارجي ، وكان لكل ذلك تأثيره المباشر على الأفكار والاتجاهات والرغبات والميول داخل البلاد .

وقد تميزت هذه المرحلة بنضال وطني محتدم تفجرت خلاله انتفاضات ومظاهرات وإضرابات واحتجاجات في شتى المناسبات ، وكان إلغاء معاهدة ١٩٣٠م المعقودة مع بريطانية ، والمطالبة بالحريات الديمقراطية ، وتعديل قانون الانتخابات وتحسين الظروف المعيشية للشعب ، ومناهضة الأحلاف العسكرية ، والدفاع عن عروبة فلسطين ، والدعوة للوحدة العربية من أهم شعاراته ، غير أن هذا النضال مر بحالات من المد والجزر والشد والإرخاء ، فكان يتصاعد ويفرض إرادة الشعب على السلطة حيناً ، ويتراجع أمام شدة القمع والبطش فتفرض السلطة إرادتها على الشعب حيناً آخر ، وهكذا حتى قيام ثورة تموز عام ١٩٥٨ (٣) .

وفي ظل هذه الظروف الملبدة لم يكن في مستطاع النخبة العراقية المثقفة ، وفي طليعتها الأدباء والفنانون ، أن تكون بمنأى عما كان المجتمع يشهده من مخاضات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية عسيرة ، فقد وجد هؤلاء أنفسهم في خضمّها شاؤوا أم أبوا ، ولذا نشطت الدعوة إلى أدب يخدم المجتمع ويلعب دوراً مباشراً في النضال الوطني من أجل التحرر السياسي والتقدم الاقتصادي والاجتماعي ، وينحاز إلى الشعب وقضاياه

(٣) سامي مهدي : المجلات العراقية الريادية ودورها في تحديث الأدب والفن ، ١٩٤٥ – ١٩٥٨ ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ١٩٩٥م راجع الفصول الخاصة بمجلات : الأسبوع والثقافة الجديدة .

ويدافع عنها وفي مقدمتها : التحرر من نفوذ الاستعمار وإرساء دعائم ديموقراطية حقيقية والعدالة الاجتماعية ، وتبنت هذه الدعوة أحزاب سياسية ، وصحف ، ومجلات ثقافية وبشرت بها بقوة وسعة ، فشنت حملات منظمة وصاخبة على الأدب الذي لا ينطوي على معنى من هذه المعاني ، وندرت به ، وأطلقت عليه العديد من الصفات السلبية مثل "أدب الفن للفن" و "أدب الأبراج العاجية" و "الأدب الانطوائي" و "الأدب الانهزامي" و "أدب العواطف الرخيصة" وغير ذلك ، ووصفت هذا الأدب بالسلبية والنرجسية والميوعة والهرب من مواجهة الواقع والتنكر للشعب وقضاياه ، وظهرت إلى جانب ذلك مفاهيم جديدة مثل "الواقعية" و "الالتزام" وحلت محل مفاهيم أقدم منها كانت تدعو إلى أدب يخدم الحياة ، وشنت حملات قاسية على "الأدب الرومانسي" و "الأدب الوجودي" وأصابت شظايا هذه الحملة شعراء مثل : نازك الملائكة وبلند الحيدري وصفاء الحيدري وعبد الرزاق رشيد الناصري ، وقصاصين مثل : نزار سليم ومحمد روزنامجي وجبرا إبراهيم جبرا ، ونقاداً مثل : نهاد التكرلي ، ورسامين مثل : جواد سليم وشاكر حسن آل سعيد ، وغيرهم ، حتى اضطر بعض هؤلاء وآخرون من أمثالهم إلى ما يشبه الامتناع عن النشر في الصحف والمجلات العراقية والبحث عن منابر للنشر خارج العراق ، خاصة في لبنان مثل : مجلة المكشوف ومجلة الأديب ومجلة الآداب ، بل أن بعضهم آثر الانسحاب والتواري وراء جدران الصمت والعزلة عن الحياة الأدبية (٤) .

وإذا كانت الدعوة إلى أدب ذي صلة بالواقع السياسي والاجتماعي قد بدأت تتجدد خلال النصف الثاني من عقد الأربعينيات من دون مفهوم واضح ، فإن الدعوة إلى "الأدب الواقعي" قد ظهرت واشتدت خلال الأعوام ١٩٥٢ – ١٩٥٤ وأخذت مفاهيم هذا الأدب وأهدافه تصبح أكثر وضوحاً ، خاصة بعد أن نشر الدكتور صلاح خالص مقالة مهمة عما سماه "المدرسة الواقعية في الأدب والفن" في مجلة "الثقافة الجديدة" (٥) ، غير أن دعاة الأدب

(٤) المصدر نفسه ، راجع ص/٧٣ – ٧٨ ، وحسين مردان : مقالات في النقد الأدبي ، المطبعة العربية بغداد ، ١٩٥٥ ، ص/٥٩ .

(٥) الثقافة الجديدة ، العدد الأول تشرين الثاني ١٩٥٣ .

الواقعي لم يكونوا من اتجاه سياسي واحد ، بل كانوا من مختلف الاتجاهات السياسية ، ومنهم من كانوا وطنيين مستقلين ، والصحف والمجلات التي تبنت الدعوة إلى هذا الأدب كانت صحفاً حزبية ومستقلة مثل جريدة "صدى الأهالي" ومجلة "الثقافة الجديدة" ومجلة "الأسبوع" وغيرها ، حتى أصبحت "الواقعية في الأدب والفن" مذهباً عاماً لغالبية الأدباء العظمى ، كل حسب فهمه لهذا المذهب ، وصار الأديب يفخر إذا ما وصف أدبه بالواقعية ، بل صار بعضهم ينافس بعضاً حول من هو أصدق واقعية من زميله وأقدر على تجسيد الواقع في أدبه ، كما حدث بين البياتي وبدر شاكر السياب مثلاً (٦) ، وهذه الدعوة اتسمت بالحماسة العاطفية والسطحية ، واقترن بعضها بضيق الأفق واصطبغ بصبغة أيديولوجية جامدة كانت تكبح كل صوت متفتح يدعو إلى احترام حرية الإبداع ويطالب بالتمسك بالقيم والاعتبارات الفنية ، وهكذا ضاعت الأصوات القليلة الواعية في خضم التيار الجارف الداعي إلى تسييس الأدب وأدلجته ، فلم يوجد صوت متزن كصوت الناقد نهاد التكرلي غير الإعراض والتنديد ، ففي الوقت الذي كان فيه هذا الناقد ينبه إلى "أن الفن خلق وحرية قبل كل شيء" ويرفض أن يكون "مجرد تسجيل للحوادث الواقعية" ، وفي الوقت الذي كان ينعى فيه على الفنان أن "يقدم لنا تقارير عن الواقع يطبل لها أتباعه على أنها أدب واقعي" (٧) كانت نبرة الخطاب السياسي تعلو من حوله وتشتد حتى تطغى على صوته وتدفعه إلى الانسحاب إلى مجلة "الأديب" اللبنانية ، أما نازك الملائكة التي نبهت بهدوء إلى مخاطر الدعوة إلى "اجتماعية الشعر" و "نبرتها العصبية" التي طغت على الصحافة (٨) وجدت من يتصدى لها بعنف وتحامل

(٦) خضر الولي : آراء في الشعر والقصة ، الجزء الأول الخاص بالشعر ، مطبعة دار المعرفة بغداد ، ١٩٥٦ ، راجع ما قاله كل من السياب والبياتي وكاظم جواد في واقعيته وواقعية زملائه في أحاديثهم .

(٧) سامي مهدي : نهاد التكرلي رائد النقد الأدبي الحديث في العراق ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ٢٠٠١ ص/٥٦ – ٦١ .

(٨) نازك الملائكة : الشعر والمجتمع والأديب ، العدد/٧ ، تموز ١٩٥٣ .

ويحاول تسفيه رأيها بخطاب سياسي قمعي (٩) ، وما لم نقرأ صحافة تلك المرحلة قراءة فاحصة يصعب علينا اليوم أن نتخيل كيف كان المناخ الأدبي ملبداً بالسياسة ، وكم كان صعباً على الأديب المتحزب والمستقل ألا يكون واقعياً كما يريد الآخرون ، فقد كانت تهم "الذاتية" و "الانطوائية" و "الانهزامية" وربما "خيانة قضايا الشعب" جاهزة في انتظاره ، ومن يقرأ المقالات التي كتبها أدباء وفنانون ونالوا فيها من زملائهم ، مقالات القاص عبد الملك نوري عن قصص نزار سليم (١٠) ، وتعقيب حبيب محمد كريم على مقالة نازك الملائكة "الشعر والمجتمع" (١١) ، ومقالة الفنان محمود صبري عن معرضي الفنانين جواد سليم وشاكر حسين آل سعيد (١٢) ، وقصة عبد الرزاق عن حسين مردان (١٣) ، يجد فيها نوعاً من الإرهاب الفكري ونمطاً خاصاً من أنماط "المكارثية الأدبية" لما فيها من عنف الهجوم وعدوائية النغمات وجاهزية التهم ، وإن هذه الدعوة ، وإن أضرت بالأدب وحولته من حقله الخاص إلى حقل السياسة وجعلته أداة من أدواتها وسمحت بمرور سيول من النتاجات الشعرية والقصصية الضعيفة والرديئة ، كانت تخدم في حينه عملية التحول في المجتمع ، بما فيه التحول من الرومانسية الآفلة إلى الواقعية ، فقد كان المجتمع يعاني مخاضات صعبة ، وينتظر ولادة جديدة ، وكان التغيير السياسي هو العامل الحاسم في هذه الولادة ، حتى بدأ تسييس الأدب والفن وتجنيد الأدباء والفنانين ضرورة من الضرورات التاريخية ، وحتى صار الأديب نفسه ، والشاعر خاصة ، يشعر بأن تخلفه عن الركب السياسي ضرباً من ضروب التقصير بحق الوطن والشعب ، حتى لقد كان من بين هؤلاء الشعراء من يأنف نشر أو كتابة قصيدة غزلية ،

(٩) حبيب محمد كريم ، نازك الملائكة والشعر الاجتماعي ، الأسبوع ، العدد/٢٢ ، آب ١٩٥٣ .

(١٠) راجع مثلاً : عبد الملك نوري وما قاله عن "اللون المقتول" لنزار سليم في مقالته "صور خاطفة من حياتنا الأدبية" في جريدة ، أخبار الساعة ، العدد/٤/٢ ، ١٩٥٠ ثم ما قاله عن "أشياء تافهة" للكاتب نفسه في : الأديب العدد/٦ ، حزيران ١٩٥٠ .

(١١) الأسبوع ، العدد/٢٢ ، آب ١٩٥٣ . (١٢) الثقافة الجديدة ، العدد/٢ ، كانون الأول ١٩٥٣ .

(١٣) حسين مردان : مقالات في النقد العربي ، المطبعة العربية بغداد ، ١٩٥٥ ، ص/٤٩ .

ويمكن للباحث أن يتحرى مصداق هذا في طبيعة القصائد التي أنتجها الشعراء خلال هذه الأعوام ، ويمكن أن نشير في هذا المجال إلى أكثر قصائد السياب والبياتي وكاظم جواد ورشيد ياسين وعبد الرزاق عبد الواحد وسعدي يوسف وسواهم (١٤) .

وهكذا كانت غالبية الأدباء ملتحمة بالركب السياسي ، أو على صلة وثيقة به ، بمن فيهم بدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي ، فقد كان السياب عضواً في الحزب الشيوعي العراقي ، وحين قطع صلته بهذا الحزب لم يكن في وسعه النأي عن الحياة السياسية ، فاتصل بالأدباء القوميين وصار ينشر في مجلة "الآداب" المعروفة بميولها القومية ، وحافظ على هذه الصلة حتى اجتذبته جماعة مجلة "شعر" اللبنانية إليها ، أما البياتي فقد كان يعد من القوميين ، وكانت له صلة بإحدى المنظمات القومية الصغيرة ، وظل قومياً حتى احتواه الشوعيان عام ١٩٥٣ ، وعينوه محرراً أدبياً في مجلة "الثقافة الجديدة" التي أصدروها في تشرين الثاني من ذلك العام .

إن البياتي كتب قصائد ديوان "أباريق مهشمة" ونشرها في تلك الظروف الكفاحية ، وفي ذلك المناخ الأدبي الملبد بالسياسة ، وكان لهذا أثر مباشر في تسييس شعره وصبغه بصبغة أيديولوجية معينة ، وكان له الأثر نفسه في موقف النقد من هذا الديوان ، له أم عليه .

حظي ديوان "أباريق مهشمة" باهتمام واسع عند صدوره ، تنازعت قصائد الديوان ثلاثة اتجاهات هي : الرومانسية والوجودية والواقعية ، فقد طغت الرومانسية على أغلب القصائد المكتوبة بالطريقة التقليدية وتسربت نفحات منها إلى بعض القصائد الحرة ، ولكن ينبغي القول هنا : إن رومانسية البياتي ليست رومانسية خائبة ، فهي تنطوي على روح قلقة وساخطة ومتمردة وليس فيها ميوعة عاطفية كتلك التي نجدها في شعر السياب الرومانسي ، ولا كآبة كتلك التي نجدها في شعر نازك الملائكة ، فهي أقرب إلى رومانسية إلياس أبي شبكة ، فيها شيء من الرمزية ، وشيء من الغموض ، وفيها نزوع إلى الرفض والتمرد .

(يتبع)

(١٤) يوسف الصايغ : الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى عام ١٩٥٨ ، مطبعة الأديب بغداد ، ١٩٧٨ ، ص/٥٩ .

من كنوز القرآن الكريم :

تفسير القرآن الكريم للعلامة السيد سليمان الندوي

(تفسير القرآن بالقرآن)

(البقرة : ٣٨ – ٨٧)

جمع وترجمة : محمد فرمان الندوي

فإما يأتينكم مني هدى ، فمن تبع هداي ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون :

قال الله تعالى : ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ❖ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ (سورة الزخرف الآيتان/٤٣ – ٤٤) .

يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم :

قال الله : ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (سورة المائدة الآية/١٢) .

أوفوا بعهدي أوف بعهدكم :

قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ❖ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (سورة الجاثية الآيتان/١٦ – ١٧) .

ولا تلبسوا الحق بالباطل :

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ❖ هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة آل عمران الآيتان/٦٥ – ٦٦) .

واستعينوا بالصبر والصلاة ، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين :

قال الله تعالى : ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة الأعراف الآية/١٢٨) وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة البقرة الآية/١٥٣) ، وقال : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ❖ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (سورة البقرة الآيتان/١٥٥ – ١٥٦) .

ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون :

قال الله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/٧٩) .

ولا يقبل منها عدل :

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/١٢٣) .

إذ نجيناكم من آل فرعون :

قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ❖ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ❖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (سورة المؤمن الآيات/٢٣ – ٢٥) .

وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون :

قال الله تعالى : ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ (سورة الأعراف الآية/١٣٦) وقال : ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ❖ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ❖ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ❖ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ❖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الشعراء الآيات/٦٢ – ٦٥) .

وقال : ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ❖ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ❖ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ (سورة ق الآيات/١٢ – ١٤) .

ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون :

قال الله تعالى : ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (سورة الأعراف الآية/١٤٨) .

وقال تعالى : ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ❖ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ❖ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ❖ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ❖ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ❖ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ❖ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ

إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ (سورة طه الآيات/٨٣ – ٨٩) .

وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ (سورة الأعراف الآية/١٥٢) .

إنه هو التواب الرحيم :

قال الله تعالى : ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (سورة طه الآية/٨٢) .

وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون :

قال الله تعالى : ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٥٥) .

ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون :

قال الله عز وجل : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (سورة الحديد الآية/٢) .

فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء :

قال الله تعالى : ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ❖ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ❖ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ❖ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ❖ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (سورة المائدة الآيات/٢١ – ٢٦) .

وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر :

قال الله تعالى : ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (سورة المائدة الآية/١٦٠) .

اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم :

قال العلامة السيد سليمان الندوي : انتهى ذكر النعم .

وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله :

قال الله تعالى : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (سورة المائدة الآية/١١٢) جاء في الإصحاح الثالث والعشرين من متى ، الإنجيل : أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ، ومنهم تجلدون في مجامعكم ، وتطردون من مدينة إلى مدينة .

إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى :

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (سورة المائدة الآية/٦٩) .

وقال : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ❖ إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ (سورة النساء الآيات/١٤٥ - ١٤٦) .

من آمن بالله وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم :

قال الله : ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (سورة التغابن الآية/٩) .

وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور :

قال الله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (سورة المائدة الآية/١٢) .

خذوا ما آتيناكم بقوة :

قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة الأعراف الآية/١٧) .

فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين :

قال الله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ

لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (سورة المائدة الآية/٦) .

وقال تعالى : ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (سورة الأعراف الآية/١٦٦) .

إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة :

جاء هنا ذكر أضحية الخطأ ، وقد ورد تفصيل ذلك في اللاويين (التوراة) في الإصحاح الرابع رقم الآية/١٣ .

وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله :

كلام الله : القرآن .

ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه :

أي يفسرون كلمات الإسلام تلفيقاً وزوراً .

قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة المائدة الآية/٤١) .

قال الله تعالى : ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة المائدة الآية/١٣) .

قال الله تعالى : ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلاً﴾ (سورة النساء الآية/٤٦) .

وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة :

قال الله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (سورة المائدة الآية/١٨) .

فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون :

ابتدأ الرد عليهم .

❖❖❖❖❖

إصـــدارات جديدة :

دور الدولة السعودية

ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في النهضة العربية الحديثة

قلم التحرير

أهدى إلينا سعادة الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر (مستشار سماحة مفتي عام المملكة ورئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية) آخر كتاب صدر له من الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ، هذا الكتاب يحتوي على تاريخ الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وقام لمناصرتها الملك عبد العزيز يرحمه الله ، بدور فعال عظيم في دحر البدع والخرافات والشركيات التي كانت قد نالت قبولاً وانتشاراً في مجتمعات المسلمين آنذاك ، وقد وافق الملك يرحمه الله علماء مكة ونجد في إطفاء نار الفتنة ومحاربة البدع والشركيات .

تحدث المؤلف عن هذا الواقع واستمرارية ذلك في أسرة آل سعود والمسئولين عن المملكة العربية السعودية إلى اليوم ، وقد رتب كتابه على عناصر بحث تاريخية موثوق بها ، وذلك كما يأتي :

حالة المسلمين وقت ظهور الدعوة ، بدء انبثاق الدعوة الإصلاحية ومراحلها ، من رسائل الإمام عبد العزيز بن محمد ، من رسائل الإمام سعود ابن عبد العزيز ، أصداء الدعوة الإصلاحية ، شهادة العلماء وشريف مكة ، مناظرة علماء المغرب ، اتفاق علماء مكة ونجد ، مرتكزات الدعوة الإصلاحية ، التحول السياسي ضدها .

وقد ذكر المؤلف الكريم نماذج من تأثير الدعوة على العالم الإسلامي ، وتحدث عن حقيقة الوهابية ، وآراء الناس حولها ، كما وقد وضح الفرق بين دعوة محمد بن عبد الوهاب وتسميتها بالوهابية ، والوهابية الرستمية التي أحدثها بعض المغرضين لإساءة ظن المسلمين بدعوة ابن عبد الوهاب رحمه الله .

الكتاب يلقي ضوءاً تاريخياً على دور المملكة السعودية في خدمة هذه الدعوة الإسلامية الإصلاحية ، وفوائدها في رد البدع والمنكرات ،

وإزالتها من مجتمعات المسلمين ، (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) .

٢. البرهان في نظام القرآن . في سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران

هذا الكتاب ألفه الشيخ الدكتور محمد عناية الله أسد سبحاني حول نظام القرآن الكريم الذي هو سرّ إعجازه ، وما فيه من الروعة والجمال والمعاني والحكم ، وقد وُفق المؤلف الكريم إلى كشف بعض الجوانب البيانية التي كانت في خفاء ، ولكن الله سبحانه منَّ عليه بتوفيق كامل لإنجاز هذا العمل القرآني ، والبحث يشتمل على تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة ، والكتاب يتحلى بانطباعات سماحة العلامة الإمام السيد الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي عن هذا الكتاب القيم ، وتصدير بليغ بقلم الباحث الإسلامي الكبير الشيخ الدكتور محمد أديب صالح ، (رئيس قسم السنة وعلومها سابقاً بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض) الذي يقول :

"إن هذا البحث الذي يعالج فيه الدكتور محمد عناية النظم القرآني في أم الكتاب والزهراوين عناية بالنظام وإخراجاً لمضمونه الفكري إلى الحيّز العلمي قد سبق ببحث كان محور المجال النظري في النظم القرآني عنوانه (إمعان النظر في نظام الآي والسور) وبذلك أصبح موضوع الكتاب الذي بين أيدينا وهو يتسم بالطابع التطبيقي ، امتداداً لسابقه الذي يحمل سيما التحديد النظري العلمي .

من هنا كان هذا الكتاب كنزاً غاليا من تحقيق النظام القرآني ولفتاته البارعة ودقائقة الفائقة وأسراره العظيمة ، ونحن إذ نهنئ المؤلف المحقق على هذا العمل العظيم ندعو الله سبحانه أن يُعمم نفعه ، ويتقبل مجهوده العلمي الثمين ، ويبارك في الأعمال والأعمار المستقبلية بمشيئته .

٣. سيرة النبي الأمين . في ضوء الأسئلة والأجوبة

تلقينا هذا الكتاب كهدية ثمينة من مؤلفه الكريم فضيلة الشيخ محمد طاهر بن محمد يعقوب القاسمي ، مؤسس ورئيس مدرسة إحياء العلوم الصديقية ، في قرية بتلوكر بمديرية سهارنفور ، الهند ، وهو يحتوي على سيرة النبي ﷺ بأسلوب السؤال والجواب ، ومعلوم أن هذا الأسلوب الأدبي ذو تأثير عميق في نفوس الأولاد والقراء الكرام لسيرة النبي الكريم عليه ألف ألف تحية وسلام .

يقول المؤلف الكريم في مقدمة الكتاب يعرّف بعمله هذا للقراء الأعزاء :

"وقد اكتفيت فيها بنقل المقتطفات من أمهات الكتب ووضع الأسئلة حسبما يحتاج إليه المكان ، وقد وضعت هذا الكتاب لتلاميذ الصفوف الابتدائية والثانوية في المدارس الإسلامية والمساهمين في المسابقات في شبه القارة الهندية ولم أر من اللازم إحالة القاري إلى المراجع كلها بقيد الصفحات" .

وندعو الله تعالى أن يبارك في عمله هذا ويتقبله وينفع به أبناءنا وشبابنا وجميع أفراد المجتمع ، ويجعل لهم قدوة في هذه السيرة العظيمة ، والله ولي التوفيق .

إلى رحـــمة الله تعالى :

الحاج حسن ، أحد المسئولين عن جماعة التبليغ (في ذمة الله تعالى)

استأثرت رحمة الله تعالى بالحاج حسن ، أحد المسئولين عن جماعة الدعوة والتبليغ في بلدة بتن بولاية غجرات الهند ، صباح يوم الأربعاء ٩/من شهر شعبان عام ١٤٣٤هـ الموافق ١٩/من شهر يونيو ٢٠١٣م ، في بلدة غودرا ، مركز الإفساد في الأرض والاضطرابات الطائفية التي ذهب ضحيتها آلاف مؤلفة من المسلمين في عام ٢٠٠٢م .

وهو والد الشيخ محمد أختر الندوي أحد مدرسي الجامعة الرحمانية وممثليها في المدارس الإسلامية في الهند ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، كان الراحل الكريم ذا صلة وطيدة بندوة العلماء وعلماء جماعة الدعوة والتبليغ ، أصيب بمرض السكر وما تبعه من أمراض ، ورغم جميع المعالجات الطبية لم يكتب له البرء ، وغادر إلى ربه الكريم راضياً مسروراً .

تغمده الله تعالى بواسع رحمته وغفر له زلاته وأسكنه فسيح جناته لقاء أعماله الصالحة والعيش في مجال الدعوة إلى الله تعالى ، وألهم أهله وذويه الصبر الجميل ، والصبر جزاؤه الجنة ، ومن يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ..

❖❖❖

البعث الإسلامي
مجلة إسلامية شهرية جامعة
ص ب ٩٣، ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)
الفاكس : ٠٥٢٢ - ٢٧٨٧٧١٠

AL-BAAS-EL-ISLAMI
NADWATUL ULAMA, P.O. BOX. 93
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)
FAX:0091-522,2741221-2741231

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم ! حفظه الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ، نشكركم على ما تتابعونه من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٥٨/عاماً بالاستمرار ، والمجلة الآن في عامها التاسع والخمسين ، ونرجو الله سبحانه أن يوفر لها جميع الوسائل اللازمة ، ويجعل التوفيق حليف العمل والعاملين فيها باستمرارية تامة .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً ، وبتكلفه باهظة ، ولا سيما بعد تضاعف أجرة البريد وأسعار الطباعة والورق والترصيف ، فهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي وشيئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم ، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك ، باسم :

AL-BAAS-EL-ISLAMI A/C 10863759846 STATE BANK OF INDIA

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"
ندوة العلماء – لكناؤ ٠٤- ٢٢٦٠٠٧ (الهند)

بالعنوان التالي:

مكتب "البعث الإسلامي" مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ - ٢٢٦٠٠٧(الهند)